559

٥٥٩

HARLEQUIN

1.500

الليالي الخطرة

روزالي آش

www.liilas.com
toto-06

«لقد نفذت ما يتعلق بي من الشرط.»

فقال يغيظها: «الشرط؟ وما هو ذلك الشرط؟»

«هو انني إذا انا جاريتك فيما تريد، فسترحل.» ذكرته آنا بذلك بعذوبة.

«وهكذا اظنك سترحل عند الصباح؟»

«لقد قلت انني لا اعقد اتفاقات، قال جيد ذلك ضاحكاً وهو يتخلل شعره بأصابعه.

«انني لا أنوي الذهاب إلى أي مكان...»

فحملقت آنا فيه.

«وهل تنوي البقاء هنا طيلة الأسبوع؟»

«إنني متأثر بحماستك هذه.»

لتنبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

DANGEROUS NIGHTS

Copyright © by Rosalie Ash 1995

ISBN 0-263-79016-9

Mills & Boon first edition October 1995

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

الليالي الخطرة بقلم: روزالي آش

ترجمة: بلقيس حوماني

سلسلة قلوب عبير ٥٥٩

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الإلكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق الثاني ص.ب: ١١/٩٧١٨ - فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) - هاتف: ٧٤٣٦٢٣ - ٧٤٣٦٣٤ (٠١) - ٢١١٤٩٣ (٠٢)

الفصل الأول

«أنا؟» خرج هذا الصوت العميق من بين الظلال قرب باب المسرح، فوقفت هي فجأة، وشعرها الأشقر الطويل يتطاير حولها وهي تستدير بسرعة لتحدّق في الظلام.

تقدم صاحب الصوت نحوها وهو يقول: «اناستازيا فريتش؟»

كان الآن يقف عند العتبة والضوء من خلفه ما جعل رؤيتها تقتصر على رجل طويل القامة خشن الهيئة يرتدي سترة من الجلد بنية اللون، وعلى رأسه قبعة قد جذبها فوق عينيه، وكان يحمل بيديه برنامج المسرح، ودفتر أوتوغراف لجمع التواقيع.

لفت معطفها حولها وهي تنظر بحذر إلى وجه الرجل الغارق في الظلال، ذاك. كان في قبعتها المخملية السوداء تغطي معظم شعرها، وفي سترتها المخملية القديمة تخفي نفسها، ما يجعل من الصعب على احد من المتفرجين ان يعرفها، فهي لم تكن احد افراد فرقة شكسبير الملكية المعروفين في هذا الموسم.

ولكن كان فيه شيء مألوف لها، طول قامته متانة بنيته، ثم صوته قبل كل شيء، وخفق قلبها في صدرها بضيق.

ابتسمت له بأدب: «مرحباً، هل استمتعت بالمسرحية؟» وانتظرت منه ان يطلب منها توقيعها. ومر بجانبها مجموعة من الممثلين تبادلوا معها التحية.

تمتم الرجل ببرودة: «انني لم اشاهد المسرحية، وإنما كان فضولي هو في ان اعرف ما إذا كانت اناستازيا فرينتش والمكتوب اسمها في البرنامج هي نفسها آنا فرينتش التي عرفتها منذ اعوام.»

اصبحت خفقات قلبها الآن أشبه بزلزال، ذلك انه مهما كانت السنوات القليلة الماضية قد علمتها، بالنسبة إلى إخفاء مشاعرها، فقد وجدت الآن صعوبة في تهدئة فيض الإثارة الذي اجتاحها، مزيجاً بالغضب والكبرياء والتوجس ومشاعر أخرى لم تستطع إدراك كنهها...

«جايد؟» كان صوتها بطبيعته أبح عميقاً غنياً بنبراته، ولكنها الآن لم تكد تستطيع تمييزه وهو يصدر عنها صارخاً لاهثاً.

رفع قبعته عن رأسه، كان له شعر بني اللون طويل بعض الشيء يكاد يصل إلى ياقة سترته من الخلف، كما كانت له ملامح جذابة غير عادية، وكانت عيناه خضراوين غامضتي النظرات بدتا لها مألوفتين إلى حد اشعرها بالألم...

«مرحبا، يا آنا.»

أخيراً، استطاعت ان تسأله: «ما الذي تفعله هنا؟»

كانت خفقات قلبها ما تزال تتسارع، لم تستطع ان تفهم سبب كل هذه المشاعر بعد كل ذلك الزمن، ألم تنس جايد ستيل منذ زمن طويل؟ وتلك الغلطة الكبرى التي يقع فيها المراهقون قبل النضج، قبل ان يتمرسوا في هذا العالم القاسي حولهم؟

قال بابتسامة قصيرة باردة وهو يفتح البرنامج امامها لأخذ توقيعها: «يقولون هنا انك بديلة الممثلة الأولى، فتهانيء لك، انها مهنة كبرى، أليس كذلك؟»

فقالت وهي توقع اسمها بيد غير ثابتة: «هذا إذا كان لي حظ بالقيام به، وهذا غير مضمون مطلقاً، والآن هوذا توقيعي فهل انت مسرور؟ كم اتمنى ان اقول انني مسرورة برؤيتك مرة أخرى، يا جايد...»

والآن لماذا قالت هذا؟ لقد فضحت نفسها بإظهار المرارة بعد كل تلك المدة الطويلة؟

وعندما شرعت في الابتعاد عنه، أمسك بذراعها، فالتفتت اليه وقد ارتجفت من لمسته، كان ينظر اليها بحدة متفحصاً ملامحها ما جعل قلبها يغوص بين ضلوعها.

هذا بينما كان يقول لها بتكاسل: «انني لم أرك منذ أربع سنوات، ومع ذلك كل ما حظيت به منك هو عشرين ثانية من الحديث.»

«ما الذي تفكر فيه؟» ولاحظت بمرارة انه ينظر اليها هازلاً.

لكن جايد لم يكن من النوع الذي يمكن لأحد ان يتجاهله. كان فارع القامة متعجرفاً تشع من شخصيته القوة والسخرية والرجولة الفياضة.

قال لها بصوته العميق الذي طالما شعرت بقلبها يذوب سماعه: «ما رأيك في ان نتناول معاً فنجان قهوة؟ في ذلك المقهى آخر الطريق؟»

كانت الدعوة عفوية، ولكنه مع هذا كان يسير بجانبها خطوة خطوة.

«ولكنني متعبة جداً بحيث لن اتمكن من هذا...»

«فنجان قهوة فقط وبعد ذلك أوصلك إلى بيتك.»

يوصلها إلى بيتها؟ ومن يظن نفسه، لكي يعود بعد مرور

اربع سنوات على اجتماعهما الأخير القاسي ذاك، فيمسك بمقاليد الأمور بكل هدوء؟ وتملكها الغضب، لكنها سيطرت عليه، شاعرة بأن احتجاجها كلما ازداد، ازداد معه انكشاف مشاعرها له. وهكذا هزت كتفيها متصنعة عدم الاكتراث: «لا بأس، لا اظن هناك ضرر في تناول فنجان قهوة معاً.» وتثاءبت تثبت بذلك تظاهرها بالتعب، ولم يبد عليه انه اعتبر ذلك إهانة له.

قد تكون هي قد فضلت القيام بدور تمثيلي يتلاءم ومهنتها، ولكن موهبة جايد في إخفاء مشاعره يستحق عليها الأوسكار.

جلست وأمامها فنجان قهوة، تقابل تحديقه فيها من عينين ضيقتين، وهي تتذكر بألم كيف كان انجذابها المدمر اليه ذات يوم.

«تبدين في أحسن حال، يا آنا؟»

لم تكن هذه الكلمات البسيطة تخرج عن حد المجاملات الرسمية، اما تلك البحة في صوته فلا شك انها من تصوراتها... وكذلك هي تخدع نفسها إذ تتخيل بريقاً في اعماق عينيه الباردتين هاتين.

اخذت توصي نفسها بصمت بأن تتوخى الحذر البالغ، إذ من الخطر أن تتخيل شيئاً من وراء هذه المقابلة، وأخيراً استطاعت ان تقول بجمود: «والآن... ما الذي تفعله في ستراتفورد؟ هذا عدا عن تسكعك خارج المسرح ممسكاً ببرنامج مسرحية لم تشاهدها؟»

حاولت تحت وقع نظراته التي لم تستطع فهمها، حاولت ان تسيطر على اعصابها فلا تزيح قبعتها المخملية جانباً

لتتخلل شعرها الأشقر الكث باصابعها، ولكنها قابلت نظراته المرحة بنظرات هادئة رزينة.

كان بعض الممثلين في مسرحية الليلة في نفس المسرح قد تجمعوا في المقهى، وقد صوب البعض منهم نظرات فضولية نحوهما، ولكنها رأت من طرف عينها كاميلا وبرو وقد احترمتا خلوتها هذه ولكنهما لاحظتا مبلغ ما عليه من جاذبية.

ذلك ان الشائعات في المسرح ستجعل من رفيقها المجهول هذا موضعاً لتخميناتهم واحاديثهم طوال الثلاثة ايام التالية.

اجابها بقوله: «مجرد مرور فقط.»

هذا بينما نظراته تتفحصها بهدوء وكانت هي تهتز لوقع نظراته هذه، أتراه يرى التأثير الذي له عليها؟ شبكت يديها معاً في حجرها وقد آلمها ما تشعر له من سيطرة عليها.

قالت له وهي ترشف قهوتها وقد راعها ارتجاف يديها: «وما الجديد في ذلك؟ فقد أمضيت حياتك مجرد عابر فقط.»

أجاب وفي عينيه بريق خطر: «هذا ليس أسوأ من قضائك حياتك بالتظاهر بانك شخص آخر.»

رغم عزمها على ان تكبح مشاعرها، فقد وجدت نفسها تحدق إلى وجهه بعينين متسعتين قد سمرتهما تلك النظرات الجامدة من تلك العينين اللتين لا تطرفان.

أخيراً، تمكنت من تحويل نظرها عنه وهي تقول: «إذا كان هذا هو تعريفك لمهنة التمثيل فهي انما تظهر جهلك المطبق بالحضارة، والآن ما الذي يعنيه قولك (مجرد مرور فقط) هذه المرة؟ ليلة؟ اسبوع؟»

«لست واثقاً بعد.»

وخذ جرعة كبيرة من كوب المياه المعدنية المثلجة الذي امامه، لاحظت ان ذوقه لم يتغير من هذه الناحية أتراه يشعر بحاجته إلى اليقظة التامة خلال كل لحظة أثناء النهار؟

نظرت إلى كتفيه العريضتين وسترته الجلدية التي يرتديها فوق كنزة بيضاء عالية العنق تبدو وكأنها من قماش الكشمير، مبرزة صدره العريض القوي... كان جسمه يماثل شخصيته بصلابته وانضباطه. وحذره الدائم، ما اكثر ما تتذكره عنه... ولم يكن هذا يضايقها فقط، بل يرهبها ويروعها...

هذا بينما تابع هو كلامه فسألها برقة: «كيف حالك إذن؟ هل انت مسرورة في ستراتفورد؟»

«وما رأيك انت؟ انني استيقظ كل صباح وانا افكر في مبلغ سعادتي وكم انا محظوظة، فوجودي ضمن فرقة شكسبير الملكية هو ما كنت احلم به على الدوام، ولم أكن افكر قط بإمكان حصوله.»

«ان تمثيلك جيد، لقد سبق ورأيتك تمثلين في مسرحية لشكسبير، هل تذكرين؟ كان بإمكاني ان اخبرك منذ أربع سنوات ان بإمكانك القيام بذلك، يا آنا.»

من المؤكد انه لم يكن يشير إلى ذلك الحادث الصغير في الحديقة، في فارتينغلي...

وتوهج وجهها للذكرى، لم تستطع ان تتذكر آخر مرة احمر فيها وجهها خجلاً... بل هي تتذكر، كان ذلك اثناء العطلة الأسبوعية تلك، في فارتينغلي. تلك الثماني والأربعين ساعة من حياتها حين بدا وكأن كل مشاعرها قد برزت إلى العيان

ولكن ها هي ذي هنا الآن، آناستازيا فرينتش ذات الثلاثة والعشرين ربيعاً، والنجمة الفتية الصاعدة، والتي تظهر باستمرار على احد اشهر المسارح في العالم، ها هي ذي يحمر وجهها مرة أخرى كتلميذة مدرسة في أول موعد لها...

لكنها لم تلبث ان تمالكت نفسها وهي ترى كاميلا تنظر اليها.

قالت له بسرعة: «وما الذي تفعله هذه الأيام؟ ام انها ما زالت معلومات محظورة التداول؟»

بدت البرودة في نظراته وهو يجيب: «لقد تمكنت من العيش رغم كل الصعوبات.»

حدقت اناستازيا اليه لحظة طويلة هزت بعدها رأسها ببطء: «عشت رغم كل الصعوبات؟ لم اعرف قط رجلاً مثلك، يا جايد ستيل! انك... رجل محاط بالأسرار. عندما عرفتك لأول مرة كنت تعيش رغم كل الصعوبات في منزل أبي، حيث كنت تقوم لأجله بعمل غامض غير محدّد وذلك اثناء اجتماع آخر الأسبوع ذاك، ان اكثر الرجال الذين عرفتهم اعني الرجال الطبيعيين هم... ممثلون أو مديرو مسارح، أو... أو موسيقيون... رجال اعمال، محاسبون، رجال اطفاء...»

قاطعها وفي عينيه نظرة هازلة: «اعفيني من ذكرياتك التعسة هذه يا آنا.»

ففتحت فمها ذاهلة، وبعد لحظة صمت خانق، قالت: «كنت اقدم امثلة افتراضية وليس قائمة بأصدقائي.»

«وأنا اصدقك.»

تنفست بعمق، ثم قالت: «أين كنت تعمل في المدة الأخيرة؟»

«خارج البلاد.»

«أين بالضبط؟»

«في واشنطن، باريس، بروكسل، جنيف.»

عندما مد يده ليتناول فنجانه، لمعت في معصمه ساعة ذهبية فخمة، واخذت هي تحدّق إلى شكل يده واصابعه المستطيلة الحسنة الشكل، ثم لم تلبث ان حولت عينيها عنه بجهد واضح.

وإذ تملكها الذعر لقدرته على التأثير عليها إلى هذا الحد، قذفته برد وقع حاسم: «لقد عرفت، انك لص مجوهرات دولي، وهذا ما اتاح لك امتلاك منازل فخمة في نصف دزينة من المدن في العالم...»

فقاطعها قائلاً: «وما أدراك بنوع البيوت التي أملكها؟»

«اظن أبي كان قال شيئاً كهذا، ولكن لا تقلق فهو لم يكشف عن أي أسرار أخرى لك. فما زالت أسرارك السيئة مصون.» قالت جملتها الأخيرة ساخرة.

لم تفصح نظرات جايد عن شيء وهو ينظر اليها فيما كانت تفرغ في جوفها بقية قهوتها وقد بدا عليها فروغ الصبر.

«اتريدين فنجاناً آخر؟»

«كلا، أريد ان اذهب لأنام...»

«سأوصلك إلى بيتك.»

أجابته بعناد: «لا ضرورة لأن تزعج نفسك، فبيتي قريب من هنا.»

«لا إزعاج في ذلك.» ونهض ثم أمسك بسترتها ليساعدها على ارتدائها.

قالت ساخرة: «يا لك من سيد مهذب.» رغم انها كانت ترتجف وهي تدفع بذراعيها في كمي السترة.

«انك تتكلمين كالأطفال، يا اناستازيا، لا تنسي قبعتك.»

فالتفتت تختطف قبعتها وقد تملكها الإحباط، ثم لوّحت لأصدقائها بسرعة وهي تهرب إلى اعماق الليل، شاكرة حظها ان كان الجو بارداً لأن وجنتيها كانتا ملتهبتين...

كان شهر ايلول (سبتمبر) قد قارب النهاية، وقد ابتدأ الصقيع مبكراً.

سألته وهو يسير بجانبها: «لماذا جئت لتراني عند باب المسرح هذه الليلة؟»

«فقط... لأقول لك مرحباً، تجديداً للمعرفة.»

«لماذا أردت ذلك؟» وارتجفت وهي تنظر إلى جانب وجهه الأسمر.

فقال ببرودة وقد بدا عليه انشغال البال: «هل من المفروض ان يكون هناك غرض معين؟ هل تعودين وحدك إلى البيت هكذا كل ليلة؟»

فانفجرت فيه تقول: «يا لك من وغد سافل.» ووقفت لتقطع الطريق بسرعة تريد الهرب منه.

«انا ستازيا...»

ولكنه سكت فجأة ذلك ان سيارة استدارت حول المنعطف متجهة نحوهما بسرعة خطفت منها الأنفاس وشعرت برأسها يدور، وما لبثت ان شعرت بنفسها ترفع عن الأرض قليلاً ثم تدفع إلى آخر الرصيف حيث وجدت نفسها مسندة إلى جدار حجري منخفض.

انطلقت السيارة بسرعة فائقة وما لبث هدير محركها ان

تلاشى، هذا بينما اخذت هي تحاول تخليص نفسها من قبضة جايد الحديدية وهي ترتجف.

«هل انت بخير؟»

فقالت بشراسة: «نعم، طبعاً انا بخير، فأنا لست غبية... فقد كنت رأيت السيارة...»

قال بجفاء وهو يترك يدها ناظراً اليها وفي عينيه لمعان غامض: «اما هو فلم يبد عليه انه آراك. انك ترتجفين، هل من عادتك التعرض إلى مثل هذه الحوادث، يا اناستازيا؟»

«كلا، فأنا قادرة جداً على العناية بنفسي، ولكن... اشكرك على كل حال.» لقد كلفها هذا القول جهداً، كان الحق معه، ذلك ان هذا الحادث الذي كاد يودي بها، قد جعلها ترتجف دون ان تدري.

«لا بأس، هل تجتازين هذه الحدائق عادة، في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟»

«نعم، انني عادة أسير مع اصدقائي من المسرح، كما ان ستراتفورد هي مدينة صغيرة لطيفة، كما تعلم، فاللصوص والمنحرفون الذين يترصدون بين الشجيرات الكثيفة هم قلة للغاية.»

«ليس ثمة مدينة تخلو منهم.»

«حسناً، ربما لم اتعود على العالم القذر الذي تسكنه.»

«هذا صحيح، ربما لم تتعودي عليه.»

كانا الآن قد وصلا إلى المنزل الذي تشترك فيه مع ثلاث من زميلاتها في الفرقة، فأخذت تبحث عن المفتاح في حقيبتها، ثم توقفت مترددة، ولكن لم يبد عليه انه يريد ان يذهب.

فقالت: «المفروض ان اكون مهذبة فأدعوك إلى فنجان قهوة في الداخل، ولكن الوقت متأخر وانا متعبة...»

ما ان وضعت المفتاح في القفل، حتى انفتح الباب الذي لم يكن مقفلاً، لا بد ان إحدى زميلتيها قد تركته مفتوحاً لسبب ما، وكان رنين الهاتف يعلو في الداخل.

«عفواً.» ودخلت مسرعة ترفع السماعة، ولكن الخط انقطع، فوضعت السماعة في مكانها وهي تحدق اليها بحنق عندما أدركت ان جايد قد تبعها إلى الداخل، اخذ قلبها يخفق بألم، كان يبدو ضخماً رهيباً في هذه الردهة الضيقة.

«جايد... أنا آسفة فأنا حقاً أريد ان انام.»

«نعم، اعلم ذلك، فقط يتملكني الفضول لكي أرى أين تعيشين، من ذا الذي تكلم في الهاتف.»

«لا احد، لقد انقطعت المكالمة حالما أجبت..»

«هل تشتركين في هذا المنزل مع احد آخر؟»

«مع ثلاث أخريات، وهن اما نائمات الآن، وإما في الخارج.»

«من ترك الباب غير مقفل؟»

ألا يغفل هذا الرجل الوغد شيئاً؟ واجابت: «لا أدري. كما ان ذلك لا يهمني مثقال ذرة.»

«سأرافقك إلى غرفتك.» قال ذلك بحزم وقد انبعثت هالة من السيطرة من شخصيته بشكل مفاجىء.

حدقت إليه بارتباك، أي لعبة ماكرة يقوم بها، بينما يعلم ما لا بد ان تكون شاعرة به بالنسبة إلى الماضي؟ ظهوره المفاجىء هذا، واللحاق بها إلى بيتها، ثم دخوله دون دعوة...

فابتدأت تقول بحرارة: «اسمع، انني لا أدري ما الذي تريده، ولكنني بصراحة أريدك ان تبتعد عني وتتركني وحدي يا جايد...»

«آنا...»

«فقط اخرج من هنا...»

تراجعت بسرعة بعد ان رأته يقترب منها، ثم يمسك بكتفيها، ولكنه عاد فتردد، فنظرت اليه، كانت عيناه مليئتين بمشاعر لم تفهمها.

لكنه لم يلبث ان اطلقها وقد بدت عيناه الخضراوان قاتمتين، وشعرت بقلبها ينتفخ بين اضلعها، بينما امتلأت نفسها خوفاً وغضباً، وكذلك رجفة سرور ضايقتها، فقالت: «الأمر ليس لعباً...»

«هل عدنا إلى الألعاب مرة أخرى، يا آنا؟ ولكنني لا أزاول أية لعبة مطلقاً، دعينا نصعد إلى غرفتك.»

وبدا صوته غاضباً، هل ذلك منها؟ أم من نفسه؟ ولكن ما سبب غضبه؟

«تصعد إلى غرفتي؟ اسمع هل انت مجنون؟ هل تتوقع ان ادعوك إلى البقاء هنا هذه الليلة؟ معي؟ فقط لكي تكمل ما كان بقي معلقاً بيننا منذ أربع سنوات؟»

«انت منفعلة جداً... كعادتك، لقد قلت لك انني أريد ان أوصلك إلى غرفتك.»

حدّقت إليه وهي ترتجف لفرط ما يملأها من مشاعر. وساورتها رغبة في مهاجمته، ولكنها سرعان ما نبذت هذه الفكرة، ذلك انه لا الرفس ولا القرص يمكن ان يؤثر بشيء في هذا الجدار البالغ ستة أقدام طولاً من العضلات والعجرفة...

استدارت على عقبيها بسرعة، ثم صعدت السلم إلى حجرتها، شاعرة بساقيها وكأنها من مطاط، دفعت باب غرفتها، ثم أضاءت النور وهي تشير بذراعيها بحركة مسرحية، معلنة ببرودة: «ها هي ذي غرفتي، هل رضيت الآن؟»

دخل جايد ثم نظر حوله باكتئاب، كان المنزل قديم البناء، فالغرفة فسيحة عالية السقف، وكانت الجدران بلون القشدة بينما كست الأرض سجادة خضراء. وقعت نظراته على السرير النحاسي بغطائه القرمزي اللون، وقد مددت على الوسادة دمية بشكل دب. رفوف الكتب، كومة الثياب على الكرسي بجانب النافذة.

تمتم يقول: «انني اتذكر ان النظام لم يكن من مزاياك.»

«إذا كان السبب الوحيد الذي جعلك تصعد إلى غرفتي هو انتقاد تنظيمي...» وخلعت سترتها وقبعتها ثم ألقت بهما متحدية على كومة الثياب. ثم وقفت تتنفس بعنف، وبدت صغيرة الجسم ممشوقة القوام في بنطلونها الأسود الضيق وكنزتها البيضاء.

تجاهلها جايد وهو يسير نحو النافذة حيث أزاح الستائر المخملية الثقيلة، وتقدمت هي تقف بجانبه وقد فرغ صبرها، وهي تقول كاظمة غيظها: «هل لك ان تخرج يا جايد، من فضلك؟»

ساد صمت طويل لم تستطع معه ان تقرأ ما يرتسم في عينيه، أو تدرك ما يفكر فيه، وتملكها ارتباك لم تعرف مثله من قبل في حياتها.

سألها فجأة: «اتريدينني ان اذهب؟» وتشابكت نظراتهما.

فقالت بغضب: «ما معنى هذا السؤال، هل لأنني كنت متهافتة عليك منذ أربع سنوات، تظن ان بإمكانك ان تعود إلى حياتي، محاولاً إغوائي؟»

فقال بهدوء: «ربما لا نعرف دوماً ما الذي نريده حقاً.»

فأخذت تتنفس بعنف: «آه، كلا، انك انت الذي لا تعرف ما تريد، كما انكر...»

سمعا صوت انصفاق الباب واصوات على السلم تعلن عودة الأخريات، وإذ كان التوتر بينها وبينه بالغاً، فقد شعرت لذلك، بالإرتياح.

وتصاعد صوت صديقتها من خارج الغرفة بينما وقع الخطوات يقترب: «آنا... آنا... هل عدت؟ من هو ذلك الرجل الذي كنت معه في...» وجمدت كاميلا على عتبة باب الغرفة، وقد بدا عليها الإرتباك.

نظرت آنا إلى ضيفها غير المرغوب فيه، مضطربة، ثم أشارت تقدمه اليها: «انه جايد ستيل أحد معارفي القدماء. انها كاميلا براونينغ، يا جايد، وهي إحدى شريكاتي في المنزل.»

تألقت عينا كاميلا الزرقاوان في وجهها الشاحب الجميل، ثم دفعت إلى الخلف بخصلات شعرها الأسود الجعد وهي تمنح جايد ابتسامة مسرحية قائلة بالفرنسية: «تشرفنا، يا عزيزي.»

«مرحباً.» وكانت مصافحة جايد لها مهذبة باردة، ثم التفت إلى آنا بشبه ابتسامة ساخرة: «تصبحين على خير، يا آنا؟ سأشتري لك غداً كوبين من القهوة في ذلك المكان.»

فاحمر وجهها وردت عليه بعنف: «فليكن ذلك في الجحيم، تصبح على خير يا جايد.»

«لا تنسي ان تقفلي بابك.» ثم خرج من الغرفة ليهبط السلم إلى الطابق الأرضي ومن ثم إلى خارج المنزل.

هذا بينما كانت كاميلا تجلس على حافة السرير آنا مستعدة لحديث سار، وهي تقول: «هيا يا عزيزتي، اخبريني، من هو، وما هي القصة؟»

شعرت آنا بضعف في ركبتيها، فجلست على كومة الثياب وهي تنظر إلى صديقتها بكآبة: «إنه... إنه... حسناً، المفروض انه صديق... قديم، انه من اصدقاء أبي...»

فقالت كاميلا وهي تعبث بخصلة من شعرها: «لا يبدو انك واثقة تماماً، هل هو صديقك أم لا؟»

حدقت آنا فيها بحيرة، فالإضطراب الذي جعلتها شخصية جايد المسيطرة يتملكها، كان فيه الكفاية. ولكن هذه المشاعر الحادة التي أثارها فيها قبل ذهابه ستبقيها مستيقظة نصف هذه الليلة...

غداً هو الأحد، وبالتالي لم يكن لديها عمل في المسرح لتتخذه عذراً في إخفاء نفسها عنه، قد يكون بإمكانها الاستيقاظ عند الفجر حيث تستقل الباص إلى مكان ما...

وسمعت نفسها تقول: «انه صديق سابق، ولكن صداقتنا لم وان تنجح، انه ليس مثال الرجال الذي يعجبني على الاطلاق...»

ثم وقفت تتمطى، محاولة بذلك إخفاء عينيها عن نظرات صديقتها الحادة، ثم اخذت تحرك رقبتها وجسمها في جميع الاتجاهات، بينما تساقط شعرها الأشقر الكثيف كستار حول رأسها.

فقالت كاميلا: «اتعنين انك لن تمانعي إذا أنا خرجت معه؟»

أجابت آنا وهي تقف ببطء، محاولة ان تبتسم: «آه، افعلي ذلك وكوني ضيفتي، آه، كم انا متعبة، يا كاميلا، هل تمانعين إذا انا ألقيت بك خارجاً ولجأت إلى سريري؟»

«كلا، فأنا خارجة.» ثم وقفت عند العتبة وهي تضحك تغيظها بقولها قبل ان تخرج: «ولكن هذا ليس من أدوارك التمثيلية الجيدة، ذلك ان جايد بدا لي مثال الرجال الذي يعجبك، يا عزيزتي، تصبحين على خير.»

وإذ اصبحت وحدها نظرت آنا في أنحاء الغرفة بذهن غائب، ثم وبحركة آلية اخذت في تغيير ملابسها والاستعداد للنوم، لقد كانت كاميلا بالغة الفطنة، وكانت على صواب، ذلك ان جايد ستيل كان ولفترة قصيرة جداً، هو الرجل الوحيد الذي ملأ خيال آنا واحلامها، والذي ملأها شعوراً بانوثتها و...

كما انه جرح كرامتها اكثر من أي رجل آخر، فقد اشعل فيها الرغبة إلى أعلى مداها، ليتركها بعد ذلك فجأة ويرحل، توقفت اثناء غسلها لأسنانها، ونظرت إلى نفسها في مرآة الحمام، لترى عينين واسعتين بنيتي اللون وقد بدتا قاتمتين بجانب شعرها الأشقر، كانت تشبه والدها بذلك والذي أصبح شائباً الآن.

بعد دوش سريع، ارتدت بيجاما بيضاء، مصممة على تنظيم غرفتها غداً، فقد كان هذا عملها يوم الأحد حيث انه اليوم الوحيد الذي يمكنها فيه القيام بأعمال داخل بيتها،

وكلما أسرعت في النوم، كان محو صورة جايد ستيل من ذهنها أسرع.

ولكن ما ان استلقت في الظلام، حتى كان جايد يحتل ذهنها، لقد سلبها حضوره كل سلام في نفسها، ولم تستطع ان تفعل شيئاً إزاء الذكريات التي تدافعت عائدة إليها لتسحقها سحقاً...

الفصل الثانـي

استيقظت آنا مبكرة بالنسبة لصبيحة يوم أحد. كان غطاؤها ووسادتها قد دبت فيهما الفوضى بعد ليلة عاصفة مضطربة مرت بها، فسقطا على الأرض بجانبها. وهكذا قامت بتنظيم فراشها رغم شعورها بالخمول والتعب، مبتدئة بذلك أعمال يوم الأحد المنزلية. وما لبثت أن انتعلت خفيها وارتدت معطفها المنزلي ثم نزلت إلى الطابق الأسفل لتعد كوباً من الشاي.

كان المنزل هادئاً، كما توقعت. فلو أن كاميلا وبرو وديفيد قد سمعنها تتحرك في اتجاه المنزل الساعة الثامنة والنصف لحسبن انفسهن في حلم فغطين رؤوسهن وعدن إلى النوم.

جلست في المطبخ ترشف الشاي وهي تنظر من النافذة الى شمس الخريف الضبابية. لقد حلمت الليلة الماضية بجايد وعندما اغمضت عينيها رأت صوراً من تلك الأحلام واضحة حية. جاهدت في التخلص منها ولكن عبثاً.

لم تشأ التفكير فيه، في الألم الذي كان سببه لها وكيف جعلت من نفسها حمقاء غبية. ولكن تفاصيل ما كان حدث كان متجمعاً في خلفيتها الذهنية حاداً مؤلماً كإبر غير مرئية.

كان ذلك في يوم حار من أيام تموز (يوليو)، منذ أربع سنوات. وكانت قد انهت لتوها سنتها الأولى في معهد

التمثيل، وأصيبت بوعكة مرضية وذلك في الأسابيع الأخيرة من الفصل الدراسي، ولكنها اخذت تكافح المرض بشدة مصممة على ان لا يفوتها يوم واحد من الدراسة. وعندما حلت العطلة أخيراً، تخلت عن خطة كانت وضعتها وهي الإقامة مع اصدقائها، لتأخذ، بدلاً من ذلك، قطاراً عادت فيه إلى بيتها في دورست تفاجيء بذلك والدها.

بعد الإرهاق العقلي الذي عانته في المدرسة، كانت تتوقع راحة هادئة في فارتينغلي منزلهم الذي يعود عهد بنائه إلى القرن السادس عشر حيث كانت امضت طفولة شاعرية. ولكنها، بدلاً من ذلك وجدت المنزل يموج بموظفي شركة والدها يجهزون لعقد مؤتمر.

قابلتها سكرتيرة أبيها في الردهة، وكان الاستقبال البارد الذي تلقته يعني ضمناً أن آنا كانت متطفلة حيث لم تكن مرغوباً بها.

لقد قالت لها بحذر إن الأمن مطلوب بشكل مطلق في جدول الأعمال، هذا بينما كانت تنظر بارتياب إلى شعر آنا الأشقر الذي تتلاعب به الريح، والبنطلون الجينز والقميص المتسع اللذين ترتديهما. لقد قالت لآنا حينذاك ان عليهم أن يتخذوا الحيطة والحذر خوفاً من المتطفلين من الناس.

وكان هذا هو سبب كثرة الرواح والمجيء في المنزل وحوله. وبصراحة فقد أبدت دهشتها لأن والد آنا قد دعاها إلى البيت.

دخلت آنا إلى المطبخ حيث أخذت بعض الشطائر وصندوقاً من علب عصير البرتقال من إيلين، كذلك بساطاً

قديماً وقبعة قش من الخزانة، ثم ذهبت إلى حديقة هادئة معشوشبة محتضنة نسخة من رواية روميو وجولييت.

وحول السياج الخشبي البالغ تسعة أقدام ارتفاعاً حيث شذا اللافندر والورود توقظ في نفسها ذكريات الطفولة، اذا بها تصطدم بجايد ستيل.

وسرعان ما ثبتها في مكانها يدان خشنتان سمراوان. وعندما رفعت بصرها إلى تينك العينين الخضراوين الباردتين، وتشابكت نظراتهما لأول مرة، شعرت... بماذا شعرت؟

شعرت بأنها تغيرت، تبدلت بشكل جوهري. مشابهة شخصاً اضطر إلى الهبوط بطائرته في دغل دون أن يعرف كيف يخرج منه...

قال لها متأملاً وفي عينيه بريق: «من أنت؟ لعلك جاسوسة لشركة عقاقير منافسة؟»

«قد أكون كذلك؟»

وإذ سمعت نفسها تقول هذا، متبعة إياه بضحكة جافة، تملكتها الحيرة.

كان ما يزال ممسكاً بها. فجذبت نفساً مرتجفاً محاولة ان تتمالك نفسها.

ما هذه المشاعر الغريبة التي تتملكها ازاء رجل غريب عنها تماماً وتقابله لأول مرة؟ ربما هي نتيجة مرضها ذاك في الجامعة.

أضافت بلهجة اكثر هدوءاً: «أنا لست كذلك، رغم انني أؤيد الأدوية البديلة. فأنا أفضل العلاج الطبيعي على الأدوية المصنوعة. ألست أنت كذلك؟»

كان سؤالاً مثيراً للاستفزاز، وكانت هي تعلم ذلك. فهذا الرجل لا يمكن أن يكون هنا إلا لأنه احد موظفي والدها. فلا يمكن ان يكون بجانب الاعداء.

لم يكن يبدو على وجهه الأسمر الخشن أي تعبير ويبدو أن جايد ستيل قد روض نفسه على ضبط اعصابه تجاه اي استفزاز.

أجاب يقول ببرودة: «الأفضل أن تذكري اسمك.»

فقالت وهي تنظر إليه هازلة، جاذبة يدها من يده: «لقد عدت إلى بيتي لاستمتع بالهدوء والأمان، وإذا بي أجد من يستجوبني في حديقتي الخاصة.»

«هل أنت ابنة ويليام فرينتش؟» وأخذ ينظر إليها من أعلى إلى أسفل دون أقل لمحة من اهتمام شخصي. «إنك تشبهينه، في الواقع.»

«لا ادري كيف أفهم ذلك ما دام أبي فوق الخمسين، وممتلىء الجسم. ولكن من أنت؟»

سألته ذلك وقد اتسعت عيناها البنيتان تحت حافة قبعتها القش القديمة.

كان يبدو رزيناً كفؤاً كرجال الأعمال في بذلته القاتمة الغالية الثمن وقميصه الأبيض وربطة عنقه الحريرية. وبدا في عصر هذا اليوم الصيفي الدافىء مفرطاً في التأنق بعكسها هي. وكان في جيبه شيء قد يكون هاتفاً جوالاً أو لاسلكي للتخابر أو شيئاً من هذا القبيل.

«لا تخبرني... هل أنت مساعد أبي ويده اليمنى الأخير؟ ابن الشركة الجديد المتشوق للتأثير على الآخرين؟»

ضاقت عيناه، فشعرت آنا بالاضطراب لماذا قالت ذلك؟

فتهكمها هذا، والجو الممل الذي أحاطت نفسها به لم يعكس أياً من مشاعرها الداخلية. ان لجوءها إلى هذا النوع من حماية النفس هو شيء جيد إذا كانت تريد التخلص من شخص ما. ولكن، هل هي تريد حقاً ان تتخلص من هذا الرجل؟

«وهل أنت ابنته المراهقة المدللة التي تحب اثارة المشاكل؟» كان قوله هذا يتضمن ملاحظة هادئة اكثر منها اهانة ماكرة.

احمر وجهها وعضت شفتها. وبضحكة مرتبكة قالت بسرعة: «إنني لست مدللة، لماذا يفترض كل شخص انه بما أنني وحيدة رجل مفرط الثراء، لا بد أن اكون مدللة؟»

«ربما وضعك لا يسمح لك بالحكم على نفسك.»

أتراها رأت لمحة ضئيلة من الهزل في تلك النظرات الباردة؟

«ربما لا، وكذلك أنت، لأنك لا تعرفني بشكل كاف لكي تصدر حكمك علي.»

وابتسمت فبانت غمازتيها، ثم اشارت إلى سلة الطعام تحت ذراعها: «لماذا لا نجلس لناكل معاً ونتبادل قصتي حياتنا؟»

تردد لحظة خاطفة قال بعدها: «ربما في وقت آخر.»

استدار ليذهب ولكنها اندفعت تقول: «إنني آناستازيا... آنا فرينتش. أليس لك اسم؟»

«جايد ستيل.» وعاد يلتفت إليها ليصافحها وجعلت ابتسامته الجافة قلبها يكاد يقفز من صدرها. كانت الابتسامة بالنسبة لأكثر الناس مجرد ابتسامة. أما بالنسبة

لجايد ستيل فقد كانت من الإشراق بالمقارنة بملامحه الخشنة الحذرة، ما جعلها لا تستطيع التنفس.

اجتمعت به مرة أخرى على مائدة العشاء. وكان يجلس إلى جانب أبيها، مرتدياً بذلة مسائية اكثر دكنة. وكانا مستغرقين في حديث عميق منخفض. أما الابتسامة المشرقة التي منحتها له فقد تجاهلها. بدا عليه وكأنه يتعمد اهمالها، ما جعلها تشعر بانقباض مؤلم في قلبها...

كانت قد اعتنت بمظهرها اكثر من المعتاد، وان لم تعترف بذلك لنفسها. فقد رفعت شعرها مكوماً فوق رأسها بشكل جميل، وجعلت زينة وجهها بحيث تبرز عينيها البنيتين ووجنتيها العاليتين، كما ارتدت تنورة قصيرة بنية اللون وبلوزة قصيرة بلون القشدة.

عندما دخلت وتقدمت نحو والدها تطبع قبلة على شعره الكثيف الأشقر الذي تخلله الشيب، قال مزهواً: «تبدين رائعة هذه الليلة، أليس كذلك يا جايد؟»

كان والدها قد التفت الى جايد بابتسامة زهو: «هل قابلت ابنتي؟ لقد عادت لتوها من سنتها الأولى في معهد التمثيل، إنها ستكون ممثلة شهيرة يوماً ما.»

فتمتم جايد يقول: «لقد سبق وتقابلنا في الحديقة.» هذا بينما أخذت عيناه تتفحصانها بقليل من الاهتمام بينما حولت هي نظرها عنه بسرعة.

كان معهم إلى مائدة العشاء تلك الليلة عدد من مديري الشركة، وبالتدريج، أخذت الأصوات ترتفع بتأثير الطعام الفاخر، واضواء الشموع والأزهار.

ركزت اهتمامها على الادلاء بكل اخبارها لوالدها فهي تحب دوماً اهتمامه الدافىء بحياتها ومقابل ذلك سمعت اخبار المؤتمر، عن العلماء ورؤساء شركة الأدوية المتوقع وصولهم في الصباح التالي.

عندما انتهى العشاء، ترك جايد ستيل المائدة قبل الجميع، ولكن اغتنامها فرصة غيابه في الاستعلام من أبيها عن طبيعة دوره في الشركة، لم يفدها إلا قليلاً جداً. فقد كان ستيل هناك مدة انعقاد المؤتمر، لمهمة محددة كما قال لها بشكل غامض كان هذا كل ما استطاعت معرفته. فوالدها يكون أحياناً كتوماً إلى حد يثير الحنق.

وبعد القهوة، تركتهم جميعاً يتناقشون في المتطلبات النهائية للمؤتمر وذلك في غرفة المكتبة الفخمة حيث سينعقد المؤتمر، ثم خرجت من باب الشرفة حيث اجتازت الفناء متجهة نحو المنزل الصيفي القروي الطراز القائم في الزاوية البعيدة.

أخذت تستنشق حالمة شذا الليلة الصيفية تلك من الورود ومختلف أنواع الأزهار ما جعلها تفكر في والدتها، والتي كانت توفيت وآنا في التاسعة من عمرها، ولكنها كانت من محبي ومشجعي زراعة الحدائق. كانت آنا تتذكر كيف كانت تسير معها في الحديقة في أماسي الصيف. كم تتمنى لو أن أمها ما زالت حية ترزق، فتكون هنا عندما تأتي هي إلى البيت...

حلّ الغسق وسرعان ما تلاه الظلام. ولم يكن ثمة أحد قريباً من مكانها هذا. وفجأة وربما كان هذا منها امتداداً لأفكارها الحزينة، ابتدأت برقة وعاطفة جياشة تتلو حديث

جولييت لروميو، متوسلة إليه أن يطيل مدة بقائه في الحديقة.

كانت ترفع صوتها في الظلام... «الفجر ليس قريب البزوغ. إنه عندليب وليس قبرة... صدقني يا حبيبي، إنه عندليب فقط...»

وإذا بشبح قاتم يتقدم من خلال ظل المنزل الريفي. فشهقت وقد تملكها الرعب.

«لا بأس. إنه أنا.» وكان هذا صوت جايد ستيل الذي رغم عدم معرفتها به تقريباً، قد ادخل الاطمئنان إلى نفسها بشكل غريب.

وجدت نفسها ترتجف من الانفعال، وهي تقول ما بين الضحك والغضب: «هل كتب علينا ان نصطدم معاً في الحدائق؟» لقد جعلها الارتباك تتكلم بحدة اكثر مما كانت تقصد، «ما الذي تفعله في زحفك هذا بين الأشجار؟»

«نفس ما تفعلين أنت، ما عدا أنني لا اتلو مسرحية شكسبير لنفسي.»

فتمتمت بتهكم قبيح: «وهل استطعت تمييز ذلك؟ لا يبدو عليك انك من النوع الذي يعرف شكسبير.»

لماذا، لماذا، لماذا انساقت إلى مثل هذا التصرف الدنيء نحوه؟

هل لأن نظراته الساخرة جعلتها تشعر بنفسها حمقاء للغاية؟ حدقت إليه وهو يقف طويلاً جامداً دون حراك، ووجهه في الظل. كان ينظر إليها من أعلى إلى أسفل ببطء. كانا واقفين متقاربين جداً. بدا وكأن الجو قد توتر بينهما.

منذ دقائق قليلة كانت تستمتع بمنظر الحديقة بأصوات وشذا هذه الأمسية الصيفية بخشخشة الهوام بين النباتات... ولكنها الآن لم تعد ترى سواه.

قال: «أظن معظم الناس يعرفون ذلك الحديث الذي دار بين روميو وجوليت. ثم كيف يبدو النوع الذي يعرف مسرحيات شكسبير؟» سألها ذلك متهكماً. كان في نظراته لمحة ماكرة بدت واضحة رغم الظلام. «هل علي أن لكون ذا لحية وواضعاً ربطة عنق متهدلة؟»

استوعبت مظهره وقد تملكها التوتر. لقد كان استبدل بملابسه بنطلوناً وقميصاً رياضياً مفتوحاً عند العنق.

قالت له بصوت غير ثابت: «كلا، إنك تبدو حسناً جداً كما أنت...»

كانت ملابسه البسيطة هذه تظهره أقل هيبة نوعاً ما. وكان الهاتف الجوال ما يزال معلقاً في حزامه. مهما يكن دوره في هذا المؤتمر، فمن الواضح انه كان يهمه كثيراً، كما لاحظت. ربما عليه أن يكون متيقظاً جاهزاً أربع وعشرين ساعة يومياً. فيجيب على المخابرات المستعجلة التي تصله من سويسرا او هونغ كونغ أو تمبكتو...؟

قال: «آسف... هل قطعت عليك تدريباً هاماً؟»

فقالت: «كلا، فقد كنت اتمشى في الحديقة مستمتعة بنسائم الليل، مستنشقة شذا الورود...»

«أهذا هو إسم ذلك العطر؟» كانت قد عادت الى صوته تلك النبرة الساخرة مرة أخرى ولسبب ما، أحست انه لم يكن يتحدث عن الأزهار. لم يحاول ان يلمسها، ولكن عينيه كانتا كأنهما لمستاها. لم تكن تتضايق قبل الآن من قصر

تنورتها البنية هذه. ولكنها الآن تشعر بساقيها العاريتين. وشعرت ببرودة الليل تلسعهما.

قالت بصوت أبح: «قد يكون هذا عطري. فقد شعرت بالدوار تقريباً عندما وضعته بعد الحمام...»

ثم ألم تضع المزيد منه عندما جاءت إلى هناك بعد العشاء؟ وذلك احتياطاً فيما لو عادت فاصطدمت به مرة أخرى؟ واحمر وجهها.

لوى شفتيه وهو يحدق فيها... اتراه استطاع قراءة افكارها؟ هل استطاع أن يدرك أن اهتمامها بمظهرها هذه الليلة كان بسبب اجتماعها به؟

كانت هذه الفكرة تشعرها بالمذلة، ولكن فكرة أنه كان يسخر منها بصمت، قد جعلها تشعر بالغضب والسخط والثورة في نفس الوقت.

دفعها إحساس في داخلها إلى التقدم منه لتقول بالفرنسية بلهجة واقعيّة ولكن عينيها تعلقتا بعينيه بتحدٍ ظاهر، قالت: «بل هي أزهار الحديقة.»

فقال وهو يتنشق رائحتها: «انها لا تناسب ذوقي تماماً... ربما هي للفتيات الصغيرات...»

فجمدت في مكانها. للفتيات الصغيرات، وكم يبلغ عمره؟ تساءلت عن ذلك ساخطة. اتراه يناهز الثلاثين؟ ابتعدت عنه خطوة وهي تشعر برغبة في صفعه على وجهه، ثم قالت بغباء: «إنني لست فتاة صغيرة، بل امرأة ناضجة.» ضاقت عيناه.

لا بد أن الابتسامة المكتومة في زاوية فمه قد اكملت ما شعرت به من تحقير، ما كان مفروضاً ان يجعلها تهرب إلى

حيث الأمان في غرفتها... ولكنها شعرت بنفسها تتجمد مكانها وكذلك عقلها على ما يبدو. كان الجزء الوحيد منها الذي بقي يتحرك هو قلبها الذي كان يخفق بعنف لم تشعر في حياتها قط من قبل بمثل ما تشعر به الآن من ضعف وتشوش في المشاعر.

وعاد هو يقول: «أما كان عليك أن تكوني في فراشك الآن، يا آنسة فرينتش بدلاً من التجوال في الحديقة محاولة إغواء رجل غريب بعطرك؟»

«محاولة إغواء...؟» حدقت إليه وقد تملكتها المذلة. «أتظن أنني أحاول اغواءك؟ إن غرورك لا يصدق. وإذا أنا أردت التجوال في الحديقة، حسناً، يمكنني أن افعل ما أريد... فهذا بيتي.» أنهت كلامها هذا بحرارة رغم القلق الذي تشعر به في قلبها.

خلافاً لكلامها، كان قلبها يخفق بعنف ما افزعها. ماذا يعني تجوالها في الانحاء، ثم اقترابها منه لكي يشمّ رائحة عطرها، سوى الإغواء؟ ولكن هذا غزل اكثر منه إغواء بطبيعة الحال.

أتراه ظنها رخيصة وأنها اعتادت هذا؟ ما الذي حدث لها، لقد كان لها اصدقاء من الفتيان منذ كانت في سن الخامسة عشرة، وهي تختلط بالطلاب يومياً في الكلية، ولكنها لم تشعر نحو احد منهم قط بما تشعر به نحو هذا الغريب من انجذاب مفزع.

وجاءها صوته كلسع السوط: «ثم تقولين إنك غير مدللة، كم عمرك، يا آنا؟»

«تسعة عشر. لقد انهيت لتوي سنة في معهد التمثيل، كما

انني لست مدللة. فالناس المدللون هم نتيجة تربية والدين مهملين لا وقت لديهما لأجل اولادهما. ولكن والديّ كانا يهتمان بي على الدوام وما زال أبي كذلك. أما كونه ثرياً فهذا خارج عن ارادتي. ولكنه لا يعني أنه دللني.»

فلوى شفتيه قائلاً يغيظها: «قد يكون كلامك صحيحاً، ولكن هل سيكون والدك فخوراً بك إذا هو رآك الآن؟»

«ماذا تعني؟»

«أعني أنك تتهافتين على رجل لا تكادين تعرفينه وذلك في الحديقة عند منتصف الليل.»

«أنا لا أفعل شيئاً كهذا...» فتحت فمها تحتج وقد شعرت بالإذلال يكاد يحرقها.

«ربما أنت بحاجة إلى درس، وهو أن لا تعبثي مع الرجال.»

جمدها الشعور بالخزي، بينما كان هو يقول: «إنك محظوظة هذه الليلة أيتها السيدة. فقد وقعت بين يدي رجل يلتزم بالأصول. فاعتبري هذا درساً.»

«درساً؟» وكانت لا تكاد تستطيع الكلام.

فقال: «نعم، نتيجة تصرفاتك. وفري عبثك وغزلك لزملائك الطلاب في معهد التمثيل، يا آنا.»

كان قال إنه سيلقنها درساً... وقد فعل. سالت دموعها مرارة وهو يتركها مبتعداً.

حتى ولو كان قد ابتعد عنها منذ ذلك الحين، إلا أنه ما زال درساً لا يمكنها نسيانه.

أخذت تتساءل الآن، وهي تتجمع حول نفسها طلباً للدفء، عما جعله ناقماً بهذا الشكل، وأخذت نظراتها تتخلل

البخار المتصاعد من فنجان الشاي الذي أمامها. كانت بشائر يوم آخر جميل من أيام أيلول (سبتمبر)، تلوح من خلال النافذة ولكنها لم ترها كل ما كانت تراه كان ذلك اللمعان القاسي في عيني جايد وهو يستعرض قوته المتفوقة ساحقاً بذلك اعتبارها لنفسها.

لم تكن شخصية جايد تحوي أي ناحية من الرقة أو الدفء. وقد قابل مشاعرها الفتية الحساسة ببرودة مطلقة.

أعادها إلى واقعها طرق على الباب جعلها تجفل. كانت الساعة التاسعة وهذا وقت غير مقبول للزيارة صباح الأحد...

تبع الصدمة التي تملكتها وهي ترى جايد واقفاً بكل هدوء على عتبة الباب، تبعها هلع للحالة التي كانت تبدو بها. فقد كانت شاحبة الوجه يلوح النعاس في عينيها، شعثاء الشعر. حدقت إليه بغضب. كان يبدو جذاباً للغاية ببنطلونه الضيق وقميصه الأبيض وسترته الصوف الكحلية اللون، وعلى كتفيه سترته الجلدية. وكان الهواء قد شعث شعره مبرزاً لمعانه البرونزي. وزاد من ألمها رؤية عينيه الخضراوين الهادئتين وملامحه القوية التي لوحتها اشعة الشمس.

أخيراً، استطاعت ان تقول وهي تتخلل شعرها باصابعها المرتجفة: «هل جئت مرة أخرى؟»

«هل يمكنني الدخول؟»

دخل إلى الردهة دون ان ينتظر جوابها، ثم اخذ ينظر اليها من أعلى إلى أسفل لاوياً شفتيه.

«لقد حلمت البارحة بأشياء ممتعة. ماذا عنك أنت؟»

فقالت باقتضاب: «أحلامي كانت عبارة عن كوابيس. ما الذي تريده يا جايد؟»

«جئت لأرى ما تفعله الممثلات أيام الأحد.»

«بالنسبة إلي، أنا اتأخر عادة في النوم صباحاً، ثم اقوم بأعمال البيت التي لم يكن لدي الوقت الكافي لادائها اثناء الأسبوع.»

«أرجو أن لا أكون قد ايقظتك من النوم.»

ولكن لم يبد عليه أنه آسف حقاً.

«كلا، فقد كنت مستيقظة.»

«أريد للإفطار بيضاً ولحماً وقهوة.»

«جايد، إنني حقاً...»

ولكنه كان قد دخل إلى المطبخ حيث أخذ يتفحص محتويات الثلاجة وغرفة حفظ الأطعمة، ثم قال: «اذهبي وارتدي ثيابك، فسآخذك لتناول الإفطار في المطعم.» واغلق باب الثلاجة ضاحكاً.

«لا اريد أن أخرج لتناول الإفطار.»

«حسناً، أنا اريد ذلك.»

فتحت فمها ذاهلة، ولكنها لم تجد ما تقوله. فقد ابتدأ يتملكها فضول قوي خطر. فمهما يكن السبب الذي أعاد جايد إلى حياتها، فهو يبدو سبباً هاماً. ولا بد أنه اصبح بإمكانها، بعد تلك السنوات الأربع، حماية نفسها. ولكن منظر جايد وهو يتنقل في المطبخ دون مبالاة، طالباً تناول الإفطار معها، كان ذلك اكثر مما تستطيع مقاومته.

أخيراً، قالت بفتور: «لا بأس. إذا كان التخلص منك ثمنه

تناول الإفطار معك، فليكن ذلك. ولكن الإفطار فقط، ولا شيء غيره...»

فأجاب موافقاً بسهولة: «نعم، الإفطار فقط.» ولكن شيئاً في نبرات صوته جعلها تتنبه بقلق...

الفصل الثالث

سادهما الصمت اثناء الطريق إلى الفندق الذي يقيم فيه جايد، وكان هذا افخم فنادق المدينة ومبنياً على طراز العهد الأليزابيتي، وكانت غرفة الطعام جميلة تشرق على النهر، وتغطي الموائد اغطية من قماش دمشقي ذي لون أخضر فاتح.

وبينما اخذ جايد يلتهم السجق والبيض والخبز المحمص والبندورة المشوية، حاولت آنا ان تفعل مثله، ولكن توترها منعها من الأكل، بينما تجنبت التقاء نظراتهما بتحويل بصرها إلى المنظر الذي كانت النافذة تطل عليه، وكانت اشجار الصفصاف في الضفة المواجهة والتي كانت توشي اعلاها أشعة الشمس، كانت تلامس مياه النهر بأغصانها المدلاة، هذا بينما الأوز ينساب على الماء واعينها على المقاعد الخشبية تبحث عن السائحين الذين يحملون الخبز.

قال لها باسماً: «هيا، تناولي افطارك.»

«لقد سبق واخبرتك بأنني لست جائعة.»

«هذا صحيح.»

ومال إلى الخلف ينظر اليها متفحصاً ببرودة، بينما أخذت هي تجول بنظراتها في أنحاء القاعة، كان هناك نزلاء من مختلف الجنسيات، متوزعين على الموائد القريبة منهما، ما بين اميركيين، وألمان وفرنسيين ويابانيين...

وقد استنتجت آنا ذلك من لهجاتهم ولغاتهم، فعدا عن السائحين الدائمين الذين يتدفقون إلى منطقة شكسبير هذه، لكي يعيشوا في الجو الذي مازال سارياً عبر القرون، كان سحر مدينة ستراتفورد الذي كان يجذب السائحين من مختلف البلدان والحضارات، لا يخيب أبداً في منحها السرور والمتعة.

ولكنها الآن بالذات، كان فكرها مشغولاً فقط باستنباط عذر تستطيع به الهرب من صحبة جايد...

قال وهو ينهي طعامه بوضع الشوكة والسكين معاً في صحنه، ثم يرفع يده مشيراً للنادل بالقدوم، قال لها متمتماً: «تبدين متعبة، يا آنا، أتصور ان التمثيل مهنة متعبة.» وكان صوته وهو يقول ذلك، خالياً من أي تعبير.

فوافقته على كلامه قائلة بنفس لهجته: «هذا صحيح فهي احياناً مهنة متعبة جداً.»

وسكب النادل لها المزيد من الشاي في فنجانها، وكذلك المزيد من القهوة لجايد، ثم ابتعد ليحضر المزيد من الخبز المحمص، هذا بينما تابعت هي تقول: «ليس فيها الكثير من أوقات الفراغ، ولكني أحبها جداً.»

«منذ متى اخذت آخر إجازة؟»

هزت كتفيها وقد بدأ الضيق ينتابها: «لا استطيع التذكر، اظن لدي إجازة قريبة تبلغ عشرة ايام. واحياناً يمضي الموسم بأكمله من دون إجازة.»

«هل هذا هو السبب في انك تبدين وأنك ميت يسير على قدميه؟»

فقالت بحدة: «اعفني من مجاملاتك البديعة هذه، ولعلمك

فانا اشعر... بالذهول. فأنا لا اصدق انني أراك مرة أخرى، فقد كنت اظن ذلك لن يحدث أبداً، اعني رؤيتك مرة أخرى، فجزء من معرفتي بك تبدو كابوساً، والجزء الآخر يبدو حلماً، حلماً كان لا ينفك يتردد عليّ منذ تلك العطلة الأسبوعية في منزلنا فارتينغلي.»

عضت شفتها وقد بلغ منها التأثر حداً لم تستطع معه التظاهر بالهدوء.

فقال بحرص: «كذلك كنت انا افكر في الشيء نفسه.»

شعرت بوجهها يتوهج، ويتملكها احساس غامر بالإنجذاب نحوه، لماذا مايزال تأثيره عليها قوياً بهذا الشكل؟

وأخذت تجاهد بغضب لكي تفحص مشاعرها الباطنية، محاولة تفهم احاسيسها هذه نحوه، أين كرهها واحتقارها له، وازدراؤها، اثناء الأربع سنوات الماضية وذلك للإحباط والخزي اللذين جعلها تشعر بهما وما زالت؟ كان الشعور بالمهانة يتملكها كلما تذكرت نبذه ذاك لها، فكيف بلغ بها الضعف حداً جعلها تجلس معه هنا، تتحدث عن احلامها به، وكأنه مازال يعني لها شيئاً؟

«لا اصدقك.»

«اعرف انك لا تصدقينني.»

فنظرت اليه بعينين ملتهبتين: «إلا اذا كان تذكرك ذلك نابعاً عن إعجاب، بفرض انك استمتعت بتلك العطلة الأسبوعية في منزلنا.»

فأظلم وجهه وهو يجيب: «كنت في مهمة في ذلك الحين.»

«آه، نعم، هل هي تلك المهمة الغامضة، والتي كانت تستدعي تجوالك في الأنحاء حاملاً هاتفاً متنقلاً أو لاسلكي للتخاطب، ولتنقض على فتيات بريئات يتدربن على مسرحيات شكسبير في الحديقة؟»

أجابها بتجهم: «إنني لم انقض عليك، يا آنا، أليس الأمر بالعكس؟»

فشحب وجهها لقسوته هذه، ثم وقفت فجأة، ولكن يد جايد أمسكت بذراعها وهو يقول برقة: «إهدإي، فنحن نعود إلى الماضي لننقّب في رماد أشياء لم تحدث قط.»

فصرخت دون وعي منها، وقد اخذت فجأة ترتجف غضباً: «ماذا؟ انك... انك تركت في نفسي جرحاً يدوم الدهر، وبعد ذلك تقول انه لم يحدث قط؟»

ضاقت عيناه، ثم وقف فجأة ودار حول المائدة يواجهها: «ما الذي تتحدثين عنه، يا آنا؟»

أجابته بحدة، دون اهتمام بنظرات الدهشة التي توجهت نحوهما: «انني اتحدث عن معاملتك لي وكانني رخيصة، ثم إذلالي... ونبذي بأقصى طريقة ممكنة، وذلك في الوقت الذي كنت اتصور فيه انك قد تكون بطلي.»

«بطلك؟» قال ذلك بسخرية بالغة جعلت الغضب يتملكها من جديد. «وكيف تتصورين انني قد اكون بطلك، يا آنا؟ انك لم تعرفي أي شيء عني.»

«هذا صحيح، وقد تلقنت الدرس، أليس كذلك؟ آه، انا لا اصدق حتى انني اتحدث اليك الآن.» وبكل قوتها، لوت ذراعها تحررها من يده، ثم أسرعت بمغادرة غرفة الطعام، غافلة عن الضجة التي أثارتها في المكان.

ولكن جايد امسك بها في الخارج، حيث قبض على ذراعها وأدارها نحوه بخشونة. حدّقت هي في ملامحه المتوترة، وتألق عينيه حين قال لها: «آنا انك تتصرفين بشكل غير عقلاني.»

فقالت وقد تمالكت اعصابها: «نعم، هذا صحيح.»

«ربما هو عشقك للمشاهد المسرحية؟»

«هل لنا ان ننسى ذلك؟»

فقال ضاحكاً: «هذا ليس سهلاً، فنحن بحاجة إلى الحديث.»

وكان في هذه الأثناء يجرها نحو النهر غير عابىء بمحاولاتها تحرير نفسها من قبضته.

«دعني يا جايد.»

«إهدإي يا آنا.»

«لا أريد ان اهدأ، دعني اذهب وإلا صرخت.» كانا الآن قد وصلا إلى النهر ووقفا في طريق مجموعة من السائحين اليابانيين الذين كانوا مشغولين بالتقاط الصور الفوتوغرافية لكل شيء يرونه، واحاطت بهم فجأة أنوار الكاميرات والأحاديث المليئة بالحيوية والبهجة.

«آنا، يا حلوتي الصغيرة، انني آسف للغاية...» كان يتكلم بصوت أجش منخفض.

فنظرت حولها، قائلة: «جايد، أرجوك، الناس ينظرون إلينا.»

«سنأخذ زورقاً في النهر.»

فسارت معه دون كلمة احتجاج، إلى حيث مرسى الزوارق...

جلست في زاوية المركب، محتضنة ركبتيها واخذت تراقبه وهو يجذف، كان يقوم بذلك بيسر ودون جهد كما كانت تتوقع، كان قد خلع كنزته الكحلية اللون فبدا قميصه الأبيض الحريري الطويل الكمين.

وأخيراً، استطاعت ان تسأله: «ما الذي تريده بالضبط، يا جايد؟»

فقال يغيظها برقة: «الآن في الوقت الحاضر؟ الأفضل أن لا تسألي.»

فقالت بضحكة قصيرة: «ربما خطر في بالك، وانت تمر بستراتفورد، ان تنهي ما نبذته منذ سنوات.»

«لقد أردتك منذ أربع سنوات، ومازلت، ولكن الأمر لم يكن سهلاً في ذلك الحين، ومازال الآن غير سهل.»

أغمضت آنا عينيها، كان شعور بالذعر يتملكها ويوتر منها الأعصاب، فألقت بيدها من فوق حافة الزورق حيث اخذت مياه النهر تتدفق فوق اصابعها.

«أريد ان اعلم، هل هذا هو سبب وجودك، يا جايد؟ هو ان تنهي ما كنت بدأت؟»

ساد الصمت، ففتحت عينيها، كان الزورق قد اخذ يبطىء إلى ان توقف، وكان جايد قد اتجه به إلى ضفة منعزلة حيث شجر الصفصاف تتحرك اغصانه مع الريح.

«كما قلت، اتمنى لو كان الأمر بتلك السهولة...»

قاطعته قائلة: «هذا إذن يعني كلا؟ انك لست في الحقيقة من الغطرسة بحيث تظن ان بإمكانك ان تعود إلى حياتي وإغوائي.»

فقال وقد بدا على ملامحه الحذر: «كلا.»

«لو انك قلت نعم، لألقيت بك في النهر.»

«لا تحاولي إهدار قوتك بهذه المحاولة.»

«اتظنني لا استطيع ذلك؟»

فقال ضاحكاً: «بل اعلم انك لا تستطيعينه.»

تبادلت معه نظرات صامتة عدة لحظات، ثم شبكت يديها في حجرها وجذبت نفساً عميقاً تحاول بذلك تمالك اعصابها.

ثم ساد صمت طويل، كان في عيني جايد نوع من التهرب انقبض له قلبها، وتساءلت بمرارة عما إذا كان هذا أمراً غامضاً آخر... مزيداً من الأسرار؟ اسئلة دون أجوبة؟ ما كنه هذا الرجل؟ هل هو خلقياً تعوزه الثقة بالنفس ما جعله يحيط نفسه بهالة من الوهم والغموض؟ ولكن من الصعب ان يتصور المرء ان جايد تعوزه الثقة بالنفس، فهي تنضح منه كما تنضح السخرية والعاطفة.

فقال بجفاء: «ربما نحن الاثنين، لكل منا رأي مختلف عما حدث منذ أربع سنوات.» وكان قد ربط الزورق إلى فرع متدلٍ من الصفصافة.

كانا قد اصبحا معزولين في واحة هادئة ساكنة، كان الصراع بين الهدوء الخارجي، والإضطراب الداخلي العنيف، يثير السخرية. وكانت هي تفكر بذلك وهي تحس بالدوار.

وأخيراً قالت: «اتظن ذلك؟»

«هذا ما أراه. قلت انك رأيتني بشكل بطل، ما الذي نقوله هنا؟ فرسان على جياد بيضاء اللون؟ اميرات في حكايات خرافية؟»

فردت بحدة: «لا أريد اضاعة وقتي في محاولة الشرح، كنت اصغر مما أنا الآن بكثير. ومازلت... ما زلت طفلة في جوانب كثيرة، و...»

فقال يغيظها برقة: «لقد كنت أكدت لي انك امرأة ناضجة.»

فاحمرت وجنتاها، ونظرت اليه بكراهية بالغة وهي تعض شفتها، ثم قالت كاذبة: «انني لا اتذكر اكثر ما حدث بيننا.»

فقال ساخراً: «يبدو ان الأبطال والفرسان قد اختلطوا في ذهنك.»

«إذا كنت تظن عملك ذاك نوعاً من البطولة، فانت من اختلطت الأمور في ذهنه.»

«انك لا تعرفين شيئاً عني، يا آنا...»

فتملكها الإرتباك وهي تبالغ في احتضان ركبتيها ثم تدس وجهها تخفيه بيديها وهي تقول: «هذا غير صحيح، فقد كان أبي يحترمك كثيراً، مهما كانت طبيعة عملك معه، كما اننا تحدثنا معاً في ذلك المساء بعد المؤتمر، أليس كذلك؟»

فقال ساخراً برقة: «آه، نعم، انك تعنين عندما طهيت لي نوعاً من الطعام الإيطالي، ثم اخذنا نتحدث عن ذوقنا المشترك في العصيدة، ثم عن الأماكن الشعبية في البلاد وغير ذلك.»

كانت ذكرى تلك العطلة الأسبوعية ما زالت تؤلمها، فبعد ما حدث ليلة الجمعة تلك في المنزل الصيفي، فقد قدم اعتذاراً حذراً ليلة الأحد، وإذا بمشاعرها تعود رغم كل

شيء، وبشكل أحمق، وقد أنعش آمالها ما توهمته من تقارب هو وليد خيالها ثم هذه العودة المفاجئة والتي أثارت بعض الفوضى والنقاش لتنتهي في غرفة نومها ومن ثم تجعل من نفسها حمقاء للغاية...

همست بضحكة كئيبة: «انا اعلم ان الأمر هو مضحك الآن، ولكن في ذلك الوقت كنت أراه... كنت أراه عملاً صائباً. لا تقلق يا جايد، فقد نسيت كل ذلك الآن... نسيت تلك الإفتتان الصبياني، والذي...»

فقاطعها قائلاً:

«وما الذي بقي إذن؟»

«لا شيء في الواقع.»

«إذن، فما أراه في عينيك وعلى ملامحك من مشاعر هو من مخيلتي؟»

وكان صوته من الرقة والإنخفاض بحيث لم تكد تفهم مضمون ما قال، فأغمضت عينيها بشدة ويأس، لا يمكن ان يكون هذا يحدث معها الآن، هذا التحليل الدقيق لأعمق مشاعرها...

وأخيراً، استطاعت ان تقول: «جايد، لا يمكن لهذا ان يستمر، هل تفهم؟»

«عمَ تتحدثين.»

أجابت بغضب: «لا تتظاهر بالغباء، انني اتحدث عنك وعني وعن اجتماعنا مرة أخرى، فمهما كان السبب في عودتك، فأنا افضل لو ترحل مرة أخرى، وبأسرع وقت ممكن، اتفقنا؟»

تلا ذلك صمت طويل ما لبث جايد بعده ان رفع ذراعيه

يتمطى بكسل، ثم يشبك يديه خلف رقبته وهو يقول بمرح: «ها قد عدت للقلق مرة أخرى، لا بد انها الممثلة في داخلك التي تشعر بمثل هذا الانفعال.»

«اسمع...»

«هل رأيت والدك حديثاً؟ آخر مرة تحدثت إليه، كان قلقاً بشأنك لأنك ترهقين نفسك بالعمل، واظنه على صواب، فانت متوترة للغاية، يا آنا، انك بحاجة إلى إجازة.»

«انا لست بحاجة إلى إجازة، كل ما أريده هو ان أعيش بسلام لكي أتابع عملي.»

فقال مقترحاً عليها بلهجة طبيعية: «ما قولك في ان تطوفي بي ستراتفورد؟»

وكان قد فك الزورق واخذ يجذف عائداً وهو يستطرد قائلاً: «انني هنا لعدة أيام، ومنطقة هارويك شاير هي كلها غريبة عليّ، ولا يمكنني ان اغادرها دون ان أرى مكان ولادة شكسبير، أليس كذلك؟»

ردت بحدة وقد بدت عليها التعاسة: «هنالك الكثير من الأدلاّء، ان لديّ اعمالاً كثيرة في بيتي و...»

«ما هي تلك الأعمال؟»

«عليّ ان انظم غرفتي...» ولكنها كانت تعلم ان هذا عذر ضعيف.

«يمكنك ان تقومي بذلك فيما بعد، وسأساعدك.» خطفت انفاسها وقاحته البالغة هذه، أقفلت فمها فجأة، لم يكن ثمة فائدة من الكلام معه، وازداد شعورها بالتوتر، كان الحق معه حين قال ان الأفضل ان تتمسك ببرودة الأعصاب، وكانت تذكر نفسها بذلك للمرة المائة.

قالت بفتور: «أريد ان اجذف بنفسي.» ذلك انها شعرت فجأة بأنها بحاجة إلى القيام بمجهود جسدي.

فقال وهو يعطيها مكانه دون نقاش: «هل ستريننني انحاء ستراتفورد، يا آنا؟» ثم اخذ ينظر اليها بشيء من التهكم عندما اخذت تجاهد في تحريك المجذافين، وهي تعض على طرف شفتها.

أجابت وهي تحاول التغلب على مقاومة المياه، وعينيها على الجسر البعيد، اجابت تقول: «لا بأس، سأريك انحاء ستراتفورد هذا النهار إذا انت وعدتني بأن تذهب غداً إلى التفرج على انحاء أخرى.»

فقال ببطء: «أنا لا اعقد اتفاقات.» وزاد البريق الساخر في عينيه احساسها البالغ بالمتاعب.

• • •

ما ان حل المساء، حتى كانت آنا قد اصبحت على وشك الانهيار، فقد زارا كل مبنى اليزابيتي في مساحة عشرين ميلاً، أو هذا ما بدا لهما، لقد شاهدا مسقط رأس شكسبير، والمكان الذي عاش فيه والداه، وأين كان يعيش حين تزوج، وعشرات الأمكنة الهامة المذكورة في الدليل الذي كان لدى جايد.

كانت شمس الخريف ترسل اشعتها المعتدلة على الكائنات، كما كان جمال الأبنية القديمة الكئيب واضحاً دون ريب ولكنها لم تكن تدرك قط مبلغ ما يصيب السائحين من إرهاق، خصوصاً إذا امتزج ذلك بتوتر المشاعر نتيجة وجودها باستمرار بصحبة جايد.

قالت له: «لقد نفذت ناحيتي من الشرط، وهكذا اظنك راحلاً صباح غد.»

فقال يغيظها: «الشرط؟ وما هو ذلك الشرط؟»

أجابت تذكره بعذوبة: «هو انني إذا انا جاريتك فيما تريد، فسترحل.»

«بل قلت انني لا اعقد اتفاقات.» ابتسم وهو يتخلل شعره بأصابعه. «انا لا انوي الذهاب إلى أي مكان قبل ان اتفرج على المسرحيات الثلاث التي ستكونين فيها الأسبوع القادم.»

فحملقت فيه: «هل تنوي البقاء طوال الأسبوع؟»

«انني متأثر بحماستك.»

تأوهت ثم أغمضت عينيها بشدة.

فسألها: «هل أنت بخير؟»

«بخير تماماً، ولكنني مرهقة بعد تجوالي اليوم بطوله على الأقدام في الأماكن السياحية. ان كل عضلاتي تؤلمني.»

«هذا الألم نتيجة التجذيف، انك بحاجة إلى حمام ساخن قبل ان يتشنج جسمك.»

«دع عنك ذكر الحمام، ان كاميلا وبرو وديفيد لا بد استنفدوا آخر قطرة من المياه حتى الآن.»

«استعملي إذن حمامي في غرفتي.»

«ماذا؟ لا يمكن أبداً.»

«إنني لا اقترح عليك سوى استعمال الحمام لا غير، يا آنا. من ماذا تخافين؟ مني أم من نفسك؟»

أرادت ان تقول انها تخاف منه ومن نفسها أيضاً، ولكنها

لم تشأ ان تدين أياً منهما، هما الاثنين، واخذ قلبها يخفق، ثم اخذت تحاول جاهدة الوصول إلى قرار، إذا هي رفضت هذا العرض، فهو سيأخذ عنها فكرة سيئة، كما انها لا تريد ان تجعله يدرك مبلغ تأثيره عليها.

لقد أمضيا عصر هذا النهار بالسير والتحدث كصديقين، حتى انهما كانا يضحكان للنكات وللمواقف التي كانا يواجهانها احياناً، اما التجاذب بينهما فكان يبدو انه لم يعد له المكان الأول، وهكذا تغلبت عليها رغبة الحصول على حمام دافىء رائع.

فقالت له: «لا اخاف من أي منا مادام لباب الحمام قفل من الداخل.»

«إن له قفل.» طمأنها بقوله هذا ولكن البريق في عينيه كان بعيداً عن التطمين.

كان الحمام الملحق بغرفة جايد رائع الجمال، فالحوض من الرخام الأبيض والحنفيات مذهبة هذا إلى كومة من المناشف الكهرمانية اللون وسجادة بلون البن تكسو أرضه. اقفلت عليها الباب وتمدّدت في الحوض مغمورة إلى عنقها بمياه الصابون المعطر، وشعرها مرفوع. ابتدأت تفكر عدة لحظات في ما كان يحدث لها. منذ ظهور جايد في حياتها ليلة أمس، بدا وكأن مشاعرها، والتي كانت حرة طليقة، قد تملكها تغير غامض.

حدثت نفسها بأنها تريده ان يرحل مرة أخرى اخذت تشتمه متظاهرة بعدم الاهتمام به، ولكنها عادة لم تكن سهلة القياد، فإذا هي شاءت ان لا تفعل شيئاً، فهي لن تفعله، ولكن من تحاول ان تخدع؟ لو لم تكن تريد ان تمضي النهار بطوله

مع جايد، لكان بإمكانها ان ترفض، لو كان لديها ذرة من عقل، لهربت منه الآن اميالاً، وذلك حين عرض عليها استعمال حمامه.

ابتدأ الماء يبرد حول جسمها، فأخذت تدعك اصابع قدميها، كان ألم عضلاتها قد ذهب، ولكن بدلاً منه، كان ألم قلبها يزيد، كانت خائفة... خائفة من نفسها، ومن جايد... ولم تكن خائفة فقط ولكن مليئة بالرعب.

مهما كان السبب الذي جعله يبحث عنها، فقد كان لديها سبب قوي لعدم الثقة به، فقد أبدى نحو مشاعرها، وذلك منذ أربع سنوات، منتهى القسوة والسخرية وعدم الإعتبار...

ولكن منذ تلك الليلة التي صعد فيها إلى غرفتها، خرج الأمر من يدها...

ارتجفت رغم دفء المياه أليس لديه فكرة عن مبلغ الضرر الذي الحقه بها؟ ربما لا، ولكن هل هو من انعدام الحساسية بحيث ظن ان في تصرفه ذاك، عندما غادرها بتلك الطريقة، قد أسدى اليها جميلاً؟

خرجت من حوض الاستحمام ولفّت نفسها بمنشفة بالغة الاتساع ثم جففت نفسها جيداً، ثم عادت فارتدت ملابسها.

خرجت تقول بمرح: «آسفة لاحتجاز الحمام لنفسي هذه المدة الطويلة.»

وجدته متمدداً على السرير القديم الطراز بأعمدته الأربعة، وهو يطالع صحف الأحد، وكان ضوء النهار قد ابتدأ يتلاشى. وعلى المنضدة بجانب النافذة، كان

شخص ما قد أحضر صينية شاي وكيك، كما اشعل النيران في المدفأة البديعة والتي يعود طرازها إلى القرون الوسطى، وكان مصباحان خافتا الضوء قد أنيرا على جانبي السرير.

وقفت بشكل دفاعي وهي ترى المشهد دافئاً.

اجابها يقول: «لا بأس، فقد اخذت دوش في الحمام الاحتياطي آخر الممر، هل كان عليك ان تنامي في الحمام؟»

«كلا، بل كنت افكر...»

نظرت اليه بإمعان وقد شعرت بقلبها ينقبض محذراً، كان شعره مبتلاً وقد عاد فارتدى بنطلونه الأسود الضيق، ولكنه استبدل بالقميص الأبيض كنزة سوداء عالية العنق، وكانت قدماه حافيتين.

كان لون بشرته أسمر داكناً، هل هذا لونه الطبيعي أم اكتسبه من حمامات الشمس في مختلف البلاد الأجنبية؟ ما اقل ما تعرفه عنه...

قال لها وهو يقفز إلى خارج السرير، ثم يتقدم نحوها ليرافقها إلى حيث مائدة الشاي: «فلنشرب الشاي، هل لنا بذلك؟»

«اشكرك يا جايد، على كل حال، ولكن عليّ ان اذهب...»

اتجهت نحو الباب، ولكنه كان هناك يقطع عليها الطريق وهو يقول بهدوء: «إبقي وتناولي الشاي، يا آنا.»

فتوتر بينهما الجو. فتحت فمها ولكن الكلمات لم تخرج. ثم ما لبثت ان همست: «شاي؟»

«نعم، شاي.»

تقدم نحوها وفي عينيه نظرة غريبة، فتراجعت قائلة وقد تملكتها رجفة: «جايد، لقد وعدتني...»

فقاطعها بقوله: «أنا لم اعدك بشيء، ولكنني منذ أربع سنوات كنت وعدت نفسي بمكافأة لتمكني من ضبط نفسي معك، والمكافأة ستكون الآن، يا حبيبتي...»

فصرخت بصوت مرتجف: «آه، جايد... كلا، أرجوك... لا تفعل هذا...»

«اسكتي يا آنا، فموقفنا هنا حقيقة واقعة وليس مجرد إداء مسرحي كالذي كنت تريدينه قبلاً... ولكن اخبريني، هل مازلت تريدينني؟ قولي... تكلمي يا حبيبتي...»

«كلا، كلا...» وكان صوتها يرتجف ولم تشعر بدموعها تسيل على وجنتيها وهي تنظر حولها وكأنها تلتمس طريقاً للهرب...

ورن جرس الهاتف عالياً يخترق السكون. فجمد جايد في مكانه لحظة ما لبث بعدها ان مد يده إلى السماعة يرفعها: «هنا جايد ستيل، نعم...» أخذ يتحدث بصوت منخفض جامد النبرات، ثم ألقى عليها نظرة مشتتة قال بعدها: «نعم، هي بأمان باتم خير، لا بأس، نعم، انني اقوم بذلك في الواقع، انها هنا، معي...»

ثم التفت اليها يشير بالسماعة نحوها. وذكرها التعبير الذي بدا على ملامحه بما كان يرتسم على وجهه في الماضي من إمارات الحذر والحرص، ما جعل قلبها يغوص بين اضلعها.

تناولت السماعة... ما الذي حدث؟ هنالك شيء غريب، غير

عادي، عبست وهي تنظر إلى جايد بارتباك وقد اخذ قلبها يخفق بعنف.

سألته بصوت أجش: «أهو لأجلي؟ ولكن من الذي يعلم بوجودي هنا؟»

فقال ببرودة: «انه والدك، ان لديه ما يريد ان يخبرك به يا آنا.»

الفصل الرابع

«أبي؟» لقد شعرت آنا الآن انها عادت طفلة من جديد رغم كل ما كان يتملكها قبل لحظات، من مشاعر انثوية ناضجة.

«أبي...؟ ما الخبر؟ ماذا يحدث؟»

«حبيبتي، لا أريد ان اخيفك.» وكان صوت والدها أجش ينطق بالتعاسة. «لقد تلقيت تهديداً بالخطف...»

فشهقت بذعر: «هل هناك من يريد ان يخطفك؟»

لكن والدها ضحك هازلاً: «ليس انا يا عزيزتي بل أنت.»

فجمدت انفاسها وهي تحاول تركيز افكارها بالإستماع إلى شرح أبيها، ولكن عقلها رفض العمل.

ما لبثت ان قاطعته بصوت أبحّ بعد ان فهمت الموضوع: «انا لا اصدق هذا.» ثم رفعت رأسها تحملق في جايد غير مصدقة. وهي تتابع قائلة: «جايد؟ جايد ستيل...؟ هل تخبرني بأن جايد ستيل هو حارس شخصي ممتهن؟»

ما ان قالت هذا، حتى تلاشى كل تعبير من ذلك الوجه الأسمر الذي كان يراقبها، كانت عيناه قد أصبحتا داكنتين لايسبر غورهما، انه رجل آخر غريب هذا الذي احتل مكان ذلك الرجل الذي كان قلبها، منذ دقائق فقط، يخفق بالمشاعر نحوه.

كان قد اجتاز الغرفة ليقف بجانب المدفأة متكئاً على المدخنة، وتلك الهالة من البرودة عادت تحيط بشخصيته

مزيجة بشيء لم تفهمه، كان اللهب المتصاعد من المدفأة يخفق ملقياً ظلالاً حول السقف المنخفض لتلك الغرفة ذات الدعامات السوداء، وكان ضوء النار يتألق على وجهه، متلاعباً على كتفيه العريضتين. وجف فمها وهي ترى عينيها قد تسمرتا بشكل مغناطيسي على قوامه والقوة التي تتدفق من شخصيته...

أتراها نائمة تحلم الآن؟ بين كل الأدوار التي مثلتها، وكل الشخصيات التي جسدتها، لم يكن بينها ما يشابه بغرابته هذا الوضع الذي يصفه لها والدها الآن.

كان والدها يقول بصوت قاطع متلهف: «ان ستيل هو الأفضل، فأنا لا ادفع مبالغ ضخمة لعمل ناقص، كما انه ليس لدي وقت للأشخاص العاديين وانت تعرفين هذا، كما ان عليك ان تنتبهي، فهذا التهديد بالخطف قد يكون حقيقياً تماماً، لم أكن أريد قط ان اخيفك أو أسبب لك القلق، وهذا هو السبب في انني طلبت من جايد ستيل ان يرعاك بعنايته دون ان ينبهك إلى ذلك بأي شكل.» وتنحنح والدها ثم قال بشيء من التهكم. «ويبدو انه ابتكر لذلك طريقة بديعة، اذا كانت قراءتي للوضع صحيحة يا عزيزتي.»

فقالت بصوت خافت: «اشك في ان قراءتك صحيحة.»

كان غضبها يزداد، وكذلك التوجس والاحساس بالخطر وعشرات من المشاعر لم تستطع تحليلها بعد.

خطف؟ هناك من يهدد بخطفها؟ لم يبد هذا عقلانياً في نظرها. ومن الذي يريد ان يخطفها؟ ولماذا؟ واذا كانوا يريدون خطفها، فهل يبلغون والدها مقدماً بذلك؟ أليس العادة ان يفعلوا العكس؟

خطر في بالها فجأة ظهور جايد الغامض القاسي الليلة الماضية، وشعرت بقلبها ينقبض في صدرها، ذلك ان جايد ستيل لم ينتظرها عند باب المسرح لكي يجدد تعارفهما، فهو لم يكن مهتماً قط بحادثة لقائهما القصير ذاك منذ أربع سنوات، ألم يقل لها مثل هذا الكلام في سياق حديثه معها اليوم؟ فتلك الحادثة لم تكن تعني له سوى القليل، في ذلك الحين، كما ان الحيرة الصادقة، بدت عليه وهو يراها تتذكر ذلك.

لقد زال الغموض الآن وبدا الوضوح صاعقاً، لا بد ان جايد ستيل كان يحرس والدها أثناء عطلة الأسبوع تلك منذ أربع سنوات، يحرسه من أي تهديد قد يكون صدر عن أي معتوه شاذ، كما كانت سكرتيرته ذكرت...

والآن يدفع له والدها اجراً لكي يأتي إلى ستراتفورد لكي يتأكد من انها لم تخطف...

شعرت بألم مبرح يطعن قلبها كسكين، كم كانت على صواب وهي تقاوم تصرفه المدمر منذ دقائق...

وأي فتاة معتوهة حمقاء رخيصة هي لو انها كانت استجابت لمشاعرها نحوه...

كانت المرارة التي تملكتها بالغة العنف، حتى لم تكد تسمع ما كان والدها مستمراً في قوله بينما نظرات جايد الباردة تتأملها من حيث كان يقف.

كانت تثير اعصابها إلى حد تمنت معه الموت.

«آنا، أما زلت تسمعينني يا حبيبتي؟»

«نعم، نعم، مازلت اسمعك يا أبي. ثم انا لا أريد ان يكون جايد ستيل... حارسي الشخصي.» قالت الكلمة الأخيرة

بشيء من الكراهية وهي تتخلل خصلات شعرها بيدها وتتابع قائلة: «انني... انني افضل الخطف على ذلك.»

ساد صمت قصير عاد بعده والدها يقول: «اسمعي يا فتاتي، لو سمعتك امك تتحدثين بهذا الشكل، لحزنت كثيراً لا يجب أن تكوني قد اصبحت تلك الفتاة المدللة التي بذلنا، انا وأمك جهدنا كي تكونينها.»

فهتفت والخزي يكاد يخنقها: «أبي...»

«دعيني انهي كلامي، ان جايد ستيل هو الأفضل. ولهذا السبب كان يحرسني أثناء تلك العطلة الأسبوعية، عندما تعرفت انت إليه، لقد كنت تلقيت تهديداً بالقتل، ولكنني لم اخبرك كيلا أثير القلق في نفسك، وقد أبقى جايد مهمته تلك طيّ الكتمان كيلا يثير شائعات سيئة ضد الشركة، ولكن هذا الرجل هو عميل دولي. وقد سبق له حراسة ملوك، يا آنا، ورؤساء وزارات، وأمراء ورؤساء جمهوريات...»

تمتمت بلهجة لاذعة وهي ترمق جايد باشمئزاز بالغ: «يا له من بطل إذن، انه فارس رائع، طبعاً حسب الأجر المناسب.»

«هذا صحيح، فهو غالي الأجر، ولكنه يستحق كل دولار، يا عزيزتي، إفعلي إذن كل ما يقوله لك، وطبعاً عليك ان تتركي المسرح...»

«كلا!» اندفعت بهذه الكلمة بلهجة ملتهبة عنيفة، وسمعت والدها يشهق فتابعت تقول: «كلا، هل انت مجنون؟»

«آنا...»

أجابته بلهجة متوترة: «أبي، هل لديك فكرة عما يعني كوني فرداً في فرقة شكسبير الملكية بالنسبة إلى مهنتي؟

وكيف كنت محظوظة بشكل لا يصدق لاختيارهم لي؟ اطلب مني القيام بأي عمل، أي عمل آخر، فأقوم به، ولكنني لن افسخ عقدي مع الفرقة، فهذا أشبه بالنسبة إليّ، بالغاء مهنتي نهائياً...»

كان جايد قد تقدم أثناء كلامها، وإذا بها ترى فجأة سماعة الهاتف وقد اخذها من يدها ثم اخذ يتكلم مع أبيها بصوت منخفض يتضمن ان الموقف تحت سيطرته.

أخذت آنا ترتجف من فرط الانفعال وهي لا تكاد تصدق غطرسته هذه.

هذا بينما كان هو يقول بهدوء: «لا تقلق يا ويليام كلا، لا بأس بذلك. دع الأمر لي...» فقفزت واقفة، شاعرة بالضعف في ركبتيها لشدة الغضب ثم دخلت إلى الحمام تقفل بابه عليها فترة سوت فيها من شأنها، كانت افكارها تنحصر في ان عليها ان تخرج من الفندق بعيداً عن قوة شخصية جايد وغطرسته التي لا تطاق.

وعندما تصل إلى بيتها سيكون بإمكانها ان تتصل هاتفياً بأبيها حيث تناقش هذا الأمر معه بمعزل عن نظرات جايد المتقدة المملة.

لكن المشكلة كانت في ان جايد سيكون موجوداً عندما تخرج من الحمام، وسيعودان وحدهما مرة أخرى، وملأتها هذه الفكرة خوفاً، وهكذا جلست فترة طويلة دون حراك وقد جمدها نوع غير عقلاني من الذعر. ان عليها ان تواجهه، إذ من غير المعقول ان تبقى في الحمام طوال الليل مقفلة عليها بابه. كما ان ليس بإمكانها القفز من نافذة الطابق الثاني...

وشعرت بالدوار ومزيج من الغضب والخوف يثقل نفسها، كان الرعب يتملكها... حاولت ان تستعيد صفاء ذهنها، ان تحلل ما تشعر بالخوف منه اكثر من اي شيء آخر، هل هو التهديد باختطافها والذي عرفت به لتوّها؟ أم من جايد ستيل، الحارس الخاص الساخر الماكر المنطوي على نفسه، والمفروض انه هنا لحمايتها...؟

كان هذا جنوناً، ويدعو إلى السخرية، فمن هو الذي يريد اختطافها؟ احد اعداء أبيها؟ انه ثري وذو نفوذ ورئيس إحدى اكبر شركات الأدوية في العالم، مما كان يثير حسد الكثيرين...

نظرت إلى نفسها في المرآة المؤطرة بإطار مذهب، وعضت شفتها. فقد صدمها مظهرها الذي بدا متوحشاً عنيفاً بعينيها الماتلتين وشعرها الأشعث بينما التوجس والخوف يملآن نفسها.

عادت إلى ذاكرتها تلك الحادثة الصغيرة في منزلها منذ أربع سنوات، لقد اصبحت تعلم الآن أي مهمة كان جايد يقوم بها هناك في ذلك الحين، لقد اصبح كل شيء واضحاً الآن.

لقد كان يحرس والدها، كل سخريتها إزاء غيرته الزائدة على عمله، وشعورها بالإحباط إزاء تحفظه وتكتمه الزائدين...

وتذكرت المشهد الذي حدث بينهما يوم الأحد عند انتهاء المؤتمر، وكانت منذ ذلك الإذلال الذي تلقته ليلة الجمعة تلك، قد بقيت بعيدة عنهم جميعاً، شاغلة نفسها بأصدقاء دراستها القدماء من زمن الطفولة. وهكذا ظنت ان جايد قد غادرهم هو أيضاً.

وامتزجت رطوبة الجو مع صيف انكلترا الحار ما جعل آنا تطوف في المطبخ مرتدية قميص نوم واسع وذلك بعد خروج الطاهية، بمدة طويلة، لقد كانت تصنع لنفسها عشاء خفيفاً آخر الليل، مهمهمة، اثناء ذلك بأغنية، عندما ظهر جايد فجأة امامها، وكان دخوله بمثل تلك الخفة والهدوء قد جعلها تقفز من مكانها مجفلة وكان يبدو اكثر ارتياحاً بشكل واضح، كما تتذكر الآن، كما كان يبدو اكثر إلفة وتجاوباً، فالتقط ملعقة الخشب التي كانت سقطت من يدها بسبب المفاجأة، فغسلها ثم ناولها إياها وهو يتشمم رائحة هذا النوع من الطعام الإيطالي الذي كان مفضلاً لديه هو أيضاً، وبعد ان تمالكت اعصابها من ان يحمر وجهها نظر إليها، وابتدأ بينهما حديث وديّ.

أدركت ان محاولته التلطف معها ان هو إلا شبه اعتذار بسبب ليلة الجمعة، وهكذا لكي تظهر نفسها متسامحة، عرضت عليه ان يشاركها عشاءها، وعندما قبل ذلك باسماً، اخذت تقسم الطعام بينهما بيد مرتجفة.

اخذا يتناولانه على مائدة المطبخ ويتحدثان في مختلف المواضيع. الأوبرا، طموحاتها، حبها للطعام الإيطالي حبها للأسفار وكذلك للنزهات في البراري، ومسارح المدينة.. وإذا بكل شيء يسوده الظلام فجأة لقد انقطع التيار الكهربائي.

وإذ عادت بها الذكريات، رأت ان ردة فعله لذلك كانت سريعة للغاية، وفي غاية الكفاءة واليقظة. فقد بدا وكأن رؤيته واحساسه اثناء الظلام يفوقان ما لدى الأشخاص

العاديين بعكسها هي التي كان ينتابها، عادة خوف سخيف من الظلام، في خلال لحظات كان قد اتصل بواسطة هاتفه الجوال، بمحطة الكهرباء المحلية طالباً اصلاح الخلل الذي حصل، وما لبث ان عثر على شموع وكبريت فصعد يتفحص الطابق الأعلى لكي يتأكد من ان الجميع نيام، وبعد ذلك اخذا يحاولان اكمال طعامهما الذي كان قد برد وهما يضحكان، وذلك على ضوء الشمعة.

كانت ذكرى ذلك العشاء الحافل بالمودة، ولهب الشمعة الذهبي ينير خطوط ملامحه الخشنة، كانت هذه الذكرى حية في هذه اللحظة، كما كانت في ذلك الحين بالضبط وكأنها حدثت أمس...

ثم كانت هناك لحظة... لحظة تجمدت من الزمن، تسمرت في ذاكرتها... وذلك حين سكتا فجأة وهمدت ضحكاتهما وتشابكت نظراتهما لحظة طويلة، وفجأة، اخذ ذهنها يسجل أدق تفاصيل ملامحه، وكأن شخصاً ما قد ضغط على زر الفيديو الذي يجمد الصورة ما جعلها تراه بشكل جامد لا يتحرك، ولعله هو أيضاً كان يراها بنفس الشكل.

كان الجو قد تغير بطريقة دقيقة غامضة جعلت دقات قلبها تتسارع بجنون وملأت قلبها بشوق غير مفهوم...

ثم خرق جايد هذا الصمت، فقد قست ملامحه وخفض بصره ناظراً إلى طعامه وهو يقول ان الوقت قد تأخر وأنه بحاجة إلى قليل من النوم، وإذ حان الوقت للصعود إلى غرفة نومها، كرهت ان تظهر خوفاً صبيانياً من الظلام، وهكذا أرغمت نفسها على ان تظهر شجاعة فائقة، فصعدت

السلم تتلمس طريقها مرغمة نفسها على تجاهل الظلال المتقافزة على الجدران والفجوات، وإذا بشمعتها تنطفىء بسبب تيار الهواء عند قمة السلم، تاركاً إياها في ظلام دامس.

وجعلت صرخة الرعب التي صدرت عنها جايد يهرع نحوها ليرى ما هناك، ثم ما لبث ان دخل إلى غرفتها ليعيد اشعال الشمعة.

جلس على حافة سريرها، متهكماً على خوفها هذا من الظلام.

انها تتذكر الآن وهي تجلس في حمام جايد المترف هذا، تتذكر ما دفعها اليه في تلك اللحظة لأن تقول هامسة: «ألا تريد أن تبقى معي في غرفتي؟» وما لبث الشعور بالإهانة والتحقير والإرتباك ان جعلها ترتجف وهي تتلقى جوابه الرافض وهو ينهض واقفاً مغادراً الغرفة: «دعي عنك هذا التفكير وعودي إلى رشدك.»

سحبت نفساً عميقاً وهي تغمض عينيها محاولة التخلص من صور الماضي هذه وما يصحبها من إذلال وتحقير لها. ولكنها لا تستطيع الجلوس طوال الليل هنا تحطم نفسها بتذكر خيبات الماضي، مسترجعة اللحظات التي جعلت فيها من نفسها فتاة حمقاء ذات تصرفات مخجلة...

عليها ان تخرج الآن من الحمام... عليها ان تجد الشجاعة لمواجهته.

عندما استجمعت اخيراً شجاعتها وخرجت، وجدت جايد جالساً بكل راحة امام المدفأة وقد عاد إلى قراءة صحف

الأحد. وكان يشرب الشاي ويأكل الكيك، كان يحيط به جو من الهدوء والسكينة ما شعرت معه بموجة جديدة من تشوش الذهن.

أترى كل ما مر بها لم يكن سوى تخيلات؟ وهل تلك المخابرة من والدها قد حدثت حقاً؟ هل هذه هي تصرفات الحارس الخاص عندما تكون الواجبات محددة؟ وتعمق في نفسها الاحساس بعدم حقيقة ما يجري.

قال لها ببرودة وهي تتهادى مترددة بينه وبين الباب: «لقد اتصلت هاتفياً ليحضروا صينية شاي جديدة.»

«لا تهتم بالنسبة إليّ. يمكنني ان اصنع لنفسي فنجان شاي عندما أصل إلى بيتي...»

«آنا...» كان هذا التحذير المسيطر ترياقاً لترددها. فاندفعت نحو الباب كالعمياء، بسرعة وخفة، ولكنه كان قد اصبح بجانبها يسد عليها باب الهرب وهو ينصحها بحرص: «إهدإي.»

كان ينظر إلى التّوهج في وجنتيها والبريق الهستيري في عينيها، بتقييم خبير: «انك مصدومة، ونحن بحاجة إلى تبادل الحديث بهذا الشأن...»

«إنني انوي الحديث إلى أبي عن هذا، دون وجودك غير المرغوب فيه... فابتعد عن طريقي، يا جايد.»

فقال بهدوء: «انك لن تذهبي إلى أي مكان، وإنما ستجلسين بهدوء وتستمعين إليّ.»

دفعها امامه بشيء من الخشونة، يجلسها على كرسي بجانب طاولة الشاي دون انتظار موافقتها، ثم نظر اليها بهدوء. وعندما تلاقت عيناها الثائرتان المضطربتان،

بعينيه الصوانيتين، ساد صمت مثقل قال بعده: «ان لديك كل الحق في ان تغضبي، فكل ما حولك يوحي بالإحباط.»

فقالت بفتور: «احقاً؟ لقد اخبرني أبي بانك الأفضل، فهل تقول انك افسدت واجباتك؟ قد يدفع هذا أبي إلى استرداد نقوده منك.»

فالتوى فمه هازلاً: «لا تكوني لئيمة يا آنا، فهذا لا يلائمك.»

قالت له بصوت يرتجف: «ليس لديك فكرة عما يلائمني، كما انه لا يهمني رأيك بي، فهو لا يمكن ان يكون أسوأ من رأيي بك...»

«اقفلي فمك واستمعي إليّ، يا آنا، ان مهمتي في حراستك ليست مهزلة، وإنما عواطفنا نحو بعضنا البعض هي كذلك. كان يجب عليّ ان أتنبأ بذلك، ولكنني لم افعل...»

فهمست تقول متهكمة بلهجة لاذعة: «طبعاً، فانت لم تتنبأ بذلك، وأنا واثقة من انك نسيت كل شيء عن مواجهتنا القصيرة التافهة تلك في منزلنا، ذلك انه بالنسبة إليك، لم يحدث شيء منذ اربع سنوات، أليس كذلك؟ انك تطوف في الأنحاء اشبه بالانسان الآلي، فتؤذي مشاعر الآخرين، وتدمر احلامهم حتى دون ان تنتبه إلى ذلك.»

«آنا، هل بامكانك الكف عن الإستغراق في الاشفاق على نفسك مدة تكفي لكي تستمعي إليّ؟» وجلس امامها ينظر في عينيها. «لقد اتصل بي والدك الأسبوع الماضي، وكان قد اقتفى أثري إلى روما، وكان قلقاً جداً، ذلك ان رسالة من دون توقيع وصلته تنذره بأن ابنته معرضة لخطر الاختطاف، كانت رسالة غامضة وغير عادية،

فالمختطفون عادة لا يحذرون اهالي ضحاياهم مقدماً، فهم يخطفون الشخص وبعد ذلك يطلبون الفدية، ولهذا لم يشأ ان يفزعك، ولكنه احتار في ما عليه ان يفعله، ثم اقترح عليّ ان احضر إلى ستراتفورد لأراقبك عن بعد...»

فانفجرت فيه تقول: «هل اقترح عليك ان تتجسس عليّ؟ اتراك ركزت كاميرا على نافذة غرفة نومي؟»

ولكنه تجاهل كلامها هذا وهو يتابع قائلاً: «على كل حال، رأيت ان افضل طريقة لمراقبتك هي الاتصال المباشر بك...»

«وأنا التي كنت بالغة الحماقة إذ ظننت انك قد عدت لإكمال ما كنا بدأنا به من علاقة؟ بينما طوال الوقت كنت تأخذ أجر ملازمتك لي كظلي؟ انني اشعر بالمرض لمجرد التفكير في هذا.»

كان يتفرس فيها بإمعان وهو يقول: «لو كنت اخبرتك بسبب وجودي هنا، ثم ظهر ان ذلك التهديد هو مجرد خدعة، لكان تسببي في إدخال الفزع إلى نفسك هو شيء لا ضرورة له، ولكن اهتمامي كان بسلامتك رغم انني ارجو ان لا يكون ثمة خطر. انني اعترف بأنني لم اعالج هذا الأمر جيداً حتى الآن. وكما قلت، فقد أسأت الحكم على الناحية العاطفية، فقد خرجت الأمور قليلاً عن السيطرة، وهذا لم يكن من ضمن خطتي.»

فشعرت لتقييمه البارد هذا لمشاعرهما بمثل طعنة السكين. لقد (أساء الحكم).. وهذا (لم يكن من ضمن خطته)... هذا التحليل المتغطرس الجاف جعل المرئيات حمراء لمام ناظريها.

«انك غمرتني بلطفك هذا حقاً...»

«سواء صدقتني أم لا، يا آنا، ففي غمرة ثورتك الإنفعالية هذه، كنت انا افكر في مشاعرك.»

ودون إنذار امسك بمعصمها بقوة. وشعرت بالدم يهرب من وجهها وهي ترى لمعان عينيه.

«آنا، لقد تلقى والدك رسالة تحذير أخرى هذا الصباح، وهذه الرسالة تحتوي على تفاصيل عنوانك وتحركاتك اليومية ومنهاج عملك في المسرح، وعاداتك الاجتماعية، ان هناك من يراقبك.»

فجمدت في مكانها، لقد اصابها تصريح جايد المباشر القاسي هذا في الصميم اخيراً.

همست وقد جف حلقها فجأة: «يراقبني؟» وغصت بريقها، شاعرة بانسحاق جسدي تقريباً، وإذ استاءت من نفسها لما شعرت به من خوف، أرغمت نفسها على اطلاق ضحكة خشنة، وهي تقول: «ولكن من المؤكد، كما تقول، ان المختطفين يخطفون ضحاياهم، في الأحوال الطبيعية، ثم يطلبون الفدية، فلماذا يراقبني شخص ما، ثم يكتب إلى أبي قائلاً بأنه يخطط لاختطافي، انني لا افهم...»

فقال بهدوء: «ان جملة (في الأحوال الطبيعية) لا تنطبق على هذا الأمر، إذ من الواضح ان هذه الصفات غير طبيعية، وبالتالي لا يكون الشخص الذي تتمثل فيه، طبيعياً. انهم يقومون بالاعيب... ألاعيب خارجة عن القانون. وهذا من بعض النواحي، اكثر إثارة للحيرة والإرتباك من التهديد (الطبيعي) بالخطف، هذا إذا كان بالإمكان وصف أي تهديد بالخطف بأنه طبيعي.»

فقالت بصوت أجش: «إذا كانوا يقومون بالاعيب، ربما هم لا يريدون الأذى على الاطلاق، فيكون كل هذا بمثابة (جعجعة بلا طحن) كما يقول المثل، ولكن ما هي الفائدة التي يجنونها من جمع كل هذه المعلومات عني؟ وتهديد أبي بهذا الشكل؟»

«المال، وهذا هو الدافع الطبيعي، أو ربما هناك نوع من المفاهيم الملتوية أو قد يكون انتقاماً، أو غيرة مهنية من شركة والدك الدوائية.»

«وما هو رأيك أنت؟»

«انني في غاية الانتباه، وهذه هي مهمتي.» قال ذلك وهو يسكب لها الشاي ثم يقدم لها الحليب وهو يتابع كلامه: «الأمر الثالث هو اننا نتعامل مع قضية غامضة... مع شخص معتوه غريب الأطوار.»

اخذت رشفة من الشاي ما لبثت بعدها ان وقفت بقلق واخذت تحدق في نيران المدفأة فترة ما لبثت بعدها ان التفتت إلى جايد الذي كان يحدق اليها بثبات وقالت: «وماذا يعني ذلك بالضبط؟ لأنه إذا كان يعني ما اظنه يعنيه، فاذهب انت إلى الجحيم.»

فقال وقد قست نظراته: «انه يعني ان تفعلي ما اقوله لك، فأنا متأكد بأنك سوف تقعين في مشاكل بسبب ذلك.»

«لا يمكنني ان الغي تعاقدي مع الفرقة، عليّ ان أفي بالتزاماتي.»

فقال بهدوء: «انني بحاجة إلى تعاونك معي يا آنا، فأنا لا اضمن حمايتك إذا لم تساعديني.»

«ساكون في امان على خشبة المسرح، امام آلاف

المتفرجين، ام انك تظن ان الخاطف سيتدلى قافزاً إلي بالحبال مثل طرزان.» وبدت السخرية في كلامها وهي تقول ذلك.

«اظن انه كان على أبيك ان يضعك فوق ركبتيه عندما كنت طفلة، لكي يصفعك، اكثر مما تراه فعل.»

«إذا عدت للقول بأنني مدللة...»

«نعم، انك كذلك، وعندما تكبرين إلى حد يمكنك ان تقومي فيه بشيء في هذا السبيل عند ذلك سنحرز بعض النجاح.» قال ذلك وهو ينهض واقفاً، فدفعها التوتر والغضب البالغ إلى توجيه ضربة إلى رأسه سرعان ما تلافاها هو بدوران جعلها تصطدم به ثم تدور على نفسها حتى أصبح ظهرها اليه وقد امسك بذراعيها بيد من حديد.

همست وهي ترتجف: «انك تظن نفسك قاسياً ماهراً، اظنك تستمتع بإظهار قوتك حيثما حصلت لك فرصة.»

فكان جوابه زفرة غضب: «وأنت تستمتعين بإظهار اغوائك كلما سنحت لك فرصة، أليس كذلك يا آنا؟»

«انك...» وخانتها الكلمات. فقد منعها الغضب من الرؤية أو الكلام، وعندما تحركت تتجه نحو الباب، امسك بمعصمها بعنف.

قالت له هامسة وقد ارتجف صوتها: «دعني اذهب، ان أبي يدفع لك اجرك لكي تحميني لا لكي تعاملني بهذا العنف.»

«اعرف هذا، ولكن إذا كان العنف هو الطريقة الوحيدة لترويضك...»

«انني اكرهك...» همست بهذه الكلمات بصوت متهدج.

فتمتم يقول: «ولكنني لا اكرهك.»

قال ذلك بلهجة غامضة جعلتها تنظر اليه من خلال عينيها الدامعتين.

«اعلم ذلك، فأنت لست مثلي، يا ليتني استطيع ان أوذيك كما تؤذيني...»

فضاقت عيناه الخضراوان وقد بدا فيهما نظرة غامضة: «آنا...»

وإذا بها ترى نفسها فجأة وقد اطلق سراحها ثم دفعها بحزم للجلوس على كرسيها، حيث اخذ يمسح دموعها قائلاً: «ما هذا، يا آنا...؟ لا تبكي...»

كان ما يزال مسيطراً على الوضع، ولم تكن هي تتصور وضعاً لا يكون هو مسيطراً عليه. ولكن الارتجاف بدا عليه بشكل غريب، وكأن موجة مشاعر قد اجتاحته فجأة.

واخيراً سألته: «ما الذي سنفعله الآن؟» كان صمته الذي يؤكد عدم اكتراثه هو اسوأ لحظات حياتها. وخنقها الألم.. أليس ما لاحظته في صوته هو نوع من الشفقة؟

تملكها شعور بالفراغ بين كل مشاعر الألم والتعاسة التي تمتلىء بها نفسها، ورفعت يدها تمسح بها دموعها.

قال جايد بعد فترة: «اننا نمثل بشكل طبيعي.» فاستقامت في جلستها، كانت حرة الآن، ولكن الإرهاق منعها من القيام بأي حركة.

حدّقت في فنجان الشاي الذي كان يسكبه لها منذ دقائق، وهي تسأله: «وكيف؟» ثم اخذت رشفة من الشاي وهي تكافح

في سبيل التحكم بأفكارها ومشاعرها، وبشيء من السخرية، أدركت انه بالرغم من الخطر الضمني... التهديد غير المرئي من غريب غير معروف، فقد كانت تتحدث عن الوضع المتوتر في غرفة الفندق هذه حيث يجلسان متواجهين كمتحاربين...

عادت تقول مستجمعة قواها وكبرياءها المشتتة: «وكيف نمثل بشكل طبيعي؟» كانت مشاعرها من انجذاب وافتتان نحو جايد ستيل، لا تعرف المنطق، وهي تتابع قائلة: «بينما وضعنا ليس كذلك؟»

كان عليها ان تبدو بمظهر عدم الاكتراث، وإلا فما فائدة تعلمها التمثيل؟

فإذا لم يكن بامكانها ان تماثله في ذلك، فعقدها ذاك مع الفرقة لا يستحق شيئاً، وكانت تتابع قائلة: «ولكن ربما كان هذا وضعاً طبيعياً بالنسبة اليك، فمعيشتك تعتمد على هذا، أليس كذلك؟ انك تحمي الناس لأجل المال، فدعني اتكهن، فأنت الآن قد ابتدأت تتبعني في كل مكان، واضعاً نظارتين قاتمتين، ومرتدياً بذلة رصاصية، وفي جيبك هاتف جوال.»

«ما هذا الذي تتحدثين عنه؟» ولوى شفتيه وهو يرى ما تحاوله من تكلف الشجاعة، هذا بينما كانت هي تتمنى لو توقفت عن النظر إلى فمه والذي كان جميل التكوين، وكانت شبه الابتسامة على شفتيه تنضح بالسخرية والغموض، كما ان ضحكته التي نادراً ما تظهر على شفتيه كانت في منتهى الجاذبية.

عادت تقول وهي تقاوم بذلك ضعفها امامه: «هكذا كنت

ترتدي عندما قابلتك لأول مرة في بيتنا، عندما كنت حارساً خاصاً.»

فقال: «كنت ارتدي بذلة لأنها كانت ملائمة للمهمة، فأرباب الأعمال لا يرتدون بنطلون الجينز.»

«آه، فهمت، فالبذلة تناسب هذا العمل.» نظرت إليه وقد لمعت عيناها انتصاراً.

«هل تتهمينني بالتمثيل؟ اننا في ذلك متماثلان أليس كذلك؟»

«ليس بالضرورة.»

لقد جرحها قوله هذا، ولكنها لم تكد تشعر بالألم فقد كانت منيعة إزاء أي مزيد من الإذلال على يدي جايد هذه الليلة.

سألته بسخرية: «ماذا يرتدي إذن جايد ستيل عندما لا يكون ممثلاً دور احد أرباب الأعمال أو... أو ربما مدير مسرح؟»

«آنا، كفي عن وضع رسم تخطيطي لمزاياي، من فضلك.» ونهض واقفاً يحرك كتفيه العريضتين ثم نظر إلى ساعة معصمه الغالية الثمن: «دعينا نعد إلى ما كنا فيه الآن، اننا سنعود إلى بيتك حيث نجمع امتعتك...»

«نفعل ماذا؟»

كان ذهولها الآن قد تحول إلى سخط، فقال: «انك سمعتني.»

«انني لن اجمع امتعتي يا جايد. انني لن آخذها إلى أي مكان، انني أعيش هنا، وهي قريبة من المسرح، انني...» فأسكتها صوته الخشن.

«ما زلت لم تفهمي بعد، أليس كذلك؟» والتفت ينظر ببرودة إلى وجهها الشاحب: «لقد رأيت بيتك، فأنا لا استطيع ضمان حمايتك هناك. فهو بسيط جداً، ومفتوح لأي زائر غير مرغوب فيه، فإذا كنت مصممة على مواصلة العمل حتى النهاية في المسرح، فعليك ان تحضري امتعتك إلى هنا مؤقتاً، حيث بامكاني حراستك، وهذا شيء غير قابل للمناقشة.»

الفصل الخامس

رأت آنا ان الشعور بعرفان الجميل نحو جايد ستيل مذلاً لها، فأخذت تظهر الهزء والإغاظة له بعد ان تركت المسرح بعد ذلك بأسبوع، وكان هذا أيضاً يدعو إلى السخرية العميقة، فقد يكون مصدراً خفياً للإطمئنان وهي تناقش الرعب للتهديد بالإختطاف، ولكن بعد مرور أسبوع... أسبوع كامل، لم يحاول احد ان يخطفها ويوثق قيادها ليضعها في مؤخرة شاحنة، لم يقفز احد إلى خلف المسرح ليلقي كيساً على رأسها ثم يختطفها...

كانت قد اخذت تعتقد ان كل المسألة ما هي الا سخافة، وقد يكون هو قد اظهر بعض الاعتبار لما هي بحاجة إليه... ألم ينفذ ما كان والدها اصر عليه من تركها لعملها في المسرح والإسراع إلى بيتها فارتينغلي؟ ولكن وجوده بقربها طوال الوقت كان يقودها إلى الجنون... الخروج من عقلها إحباطاً وإذلالاً واضطراباً...

كان ذلك يؤثر على تمثيلها... كانت واثقة من ذلك، فوجوده نائماً في غرفة بجوار غرفتها.. ومراقبته لها بدقة لا تعرف التهاون...

كل ذلك كان يجعلها تشعر بنوع من عدم الأمان على نفسها وانوثتها بشكل لم تعرفه قط في حياتها.

وفي مقدمة كل هذا، كان وجوده في حياتها في المسرح يسبب لها من الحرج اكثر مما كانت تتصور...

«تصبحين على خير، يا آنا.» قالت كاميلا لها ذلك بصوت مرتعش وهي تبتسم متبادلة النظرات مع برو وهي ترى آنا تخرج من باب المسرح. «اتمنى لك نوماً هانئاً، هذا إذا تمكنت من النوم، يا حبيبتي، ما نمت طوال الليل محروسة من قبل حارس خاص.»

فتمتمت آنا بجفاء: «شكراً، يا كاميلا.» وبذهن غائب، التقطت بضع رسائل لها كانت موضوعة على الرف الخاص بذلك، وعندما التفتت رأت صديقتها ترمق جايد بنظرة جذابة جانبية.

خفق قلب آنا بشدة، ولكن جايد كان يتفحص ببرودة، الداخلين والخارجين من باب المسرح، وكان يبدو كعادته ضامراً واثقاً من نفسه ويقظاً ما جعله غاية في الجانبية، فلا عجب إذا كانت معظم ممثلات الفرقة ينظرن إليه بنفس طريقة كاميلا تلك...

نظرت في عينيه فأجابها على ابتسامتها العصبية برفعه لحاجبه، كان مستنداً إلى الجدار ينتظرها هادئاً منضبط النفس، مرتدياً قميصاً قطنياً ابيض اللون فوقه صدرية من الجلد بنية اللون فوقها سترة من الجلد بلون القشدة وكذلك بنطلونه، هذا إلى حذاء طويل بني اللون.

كان منظره يسوده الإنسجام والهدوء، وكان على آنا ان تعترف بأن طراز ملابسه، وملامحه المتزنة... كل ذلك اسبغ عليه جواً من النفوذ والقوة... والسيطرة... ولكنها ذكرت نفسها بمرارة بأنه شخص يملك الكثير من المال الذي جمعه من وراء التعامل مع مخاوف الآخرين.

«أظن ان عليك ان تدعي حارسك الخاص داخل غرفة

ملابسنا يوم الاثنين، ان جسمي يشعر وكأنه بحاجة إلى حراسة.» قالت كاميلا ذلك وهي تتبعهما إلى خارج الباب حيث هواء الليل المنعش، وهي تنظر إلى آنا التي كانت تلتف بسرتها المخملية.

فقال جايد ساخراً: «ان الشيء الوحيد الذي لديك بحاجة إلى حراسة هو لسانك.»

اسكتت سخريته هذه وجمود ملامحه، كاميلا. وعندما توارت هذه قالت له آنا: «لقد كنت قاسياً على كاميلا.» كانا في طريقهما إلى حيث سيارته التي كانت راكنة في الموقف عند مدخل الشارع. كانت الضحكات والنكات الساخرة هي كل ما سمعته وهما في طريقهما إلى البيت، بينما كان جايد يجري فحصاً سريعاً لسيارته.

اجابها: «انها ليست قسوة.» وفتح لها الباب: «لا بأس، اصعدي.»

«نعم، يا سيدي.»

لم تكن تعرف إلى متى ستتحمل اوامره هذه، تقاد من مكان لآخر، وتعامل كأنها غير راشدة، بينما كان من في المسرح يسخر منها دون رحمة؟

كانا في السيارة يشقان طريقهما في زحام الخارجين من المسرح، متجهين نحو الأماكن العامة والمطاعم في ستراتفورد.

عادت إلى مهاجمته قائلة: «انك معتاد على تحطيم الناس حتى انك لا تنتبه إلى ما اذا كنت قاسياً على أحد.»

«انه نقد غير عادل. فأنا تدرّبت على حماية الناس.» وأدار عجلة القيادة متجنباً بذلك مجموعة من الفتيان

يجتازون الطريق ركضاً، ما جعلها تكبح صرخة همت بها، كان ينظر في مرآة القيادة إلى شاب قد فاتهما للتو. كانت ملامحه باردة مفكرة غير مهتم بما كانت تريد ان تقول له: «ان كاميلا صديقتي، وهي قالت ذلك لمجرد المزاح...»

«ساكون اكثر لطفاً معها في المستقبل.» وكان في صوته لهجة تنذر بشيء لم تستطع تفسيره.

«ربما عليك ان تتذكر بانك تأخذ أجراً لكي تكون لطيفاً معي.»

فأجاب وهو يرمقها بنظرة جانبية وهما يدخلان موقف السيارات في الفندق، اجاب بقوله: «انني آخذ أجراً لكي احميك.»

«ربما الحقيقة هي انني بحاجة إلى الحماية منك اكثر مما هي من ذلك الرجل الغامض الغريب الأطوار.»

«اشك في ذلك.»

نظرت اليه بحذر وهما يدخلان الجناح الذي كان استأجره، كانت لها غرفتها الخاصة مع حمامها، ولكن هذا القرب منه مازال يشعرها بعذاب مبرح شأنها في كل مرة تدخل فيها إلى هنا، عالمة بأنها ستمضي الليل على بعد اقدام قليلة منه... تبعته إلى الداخل حيث أخذ يقوم بفحص مهني للغرف والنوافذ والخزائن والأسرة، ثم سألته ببطء: «لماذا تفعل كل هذا، يا جايد؟»

فنظر اليها من فوق كتفه بابتسامة قصيرة وهو يقول: «انها الإجراءات المعتادة.»

أجابت موضحة: «ليس هذا، اعني لماذا وافقت على القيام بحمايتي؟»

«لأن والدك طلب مني ذلك.»

«انا اعلم انه فعل ذلك، ولكن كان بإمكانك ان ترفض، كان بإمكانك ان تدله على شخص آخر.»

فقال ساخراً: «ولكن المبلغ الذي دفعه كان حسناً.»

رمقته بنظرة ازدراء، ثم دخلت بجفاء إلى غرفتها، فالقت بسترتها على كرسي، ثم صفقت الباب في وجهه، كان حلقها جافاً من التوتر.

وخطرت لها فكرة ثائرة هي ان تقفل بابها، وبعد لحظة تردد دفعت المزلاج، وكان على الباب الموصل بين الغرفتين ان يبقى مفتوحاً حسب أوامر جايد، فليذهب الليلة إلى الجحيم... ودخلت إلى الحمام حيث خلعت ثيابها، ثم خطت إلى تحت الدوش الساخن.

من المؤكد انها سرعان ما ستصبح لديها حصانة ضد تأثير قرب جايد الدائم منها، فعدم اهتمامه المستمر بها لا بد ان يجعل لديها تدريجياً حساً من الأمان.

نظرت إلى وجهها الشاحب في المرآة، وهي تنشف نفسها وتفرك اسنانها، ثم اعترفت لنفسها بأن ذلك امل ضعيف. فهي لن تكون حصينة إزاء جاذبية ورقة جايد ستيل إلا إذا ماتت...

لم يتودد إليها طوال الأسبوع. وكان في السهولة التي تمكن بها من الانتقال من عواطفه المتقدة منذ اسبوع إلى... إلى هذا التحكم غير البشري فيها، كان في ذلك إهانة بالغة لها.

حدّقت إلى نفسها في المرآة وقد تملكها الغضب لأفكارها المجنونة هذه. بماذا كانت تفكر؟ هل كانت تريده ان يتودد إليها؟ وافزعها ضعفها هذا تجاهه.

ولكن تكريسه الهادىء هذا لجهوده نحو هدف واحد، جعلها وبشكل غير منطقي تريد ان تندفع نحوه بعنف.

لفت نفسها بمعطف الحمام الذهبي اللون والتابع للفندق، ثم خرجت، كانت سترتها ماتزال ملقاة على الكرسي حيث وضعتها، وفي محاولة منها لتنظيم الغرفة، التقطتها تساورها نية نبيلة لتعليقها في الخزانة، وإذا بالرسائل التي كانت احضرتها معها من المسرح تظهر من الجيب.

اختطفت الرسائل، تاركة السترة تسقط إلى الأرض، ثم جلست على الكرسي وعندما فتحت الرسالة الأولى ثم اخذت تقرأها، إذا بالمرئيات تغيم لمام عينيها ثم تأخذ بالإهتزاز، وتملكها الذعر فاطلقت صرخة مختنقة، ثم ألقت بالرسالة إلى الأرض وكانها احرقت اصابعها.

«آنا؟» تصاعد صوت جايد يناديها بعد ان وجد الباب مقفلاً، «آنا، ما بك؟ افتحي الباب.»

حدقت في الرسالة وهي تشعر بنفسها ملتصقة بالكرسي غير قادرة على الحركة.

«آنا، آنا. افتحي الباب... الآن.» كان صوته من الإلحاح بحيث جعلها تستجمع قواها، ثم تتقدم فتزيح المزلاج، فتح جايد الباب على مصراعيه ودخل وكل عضلة في جسده تكبح الغضب.

صرخ في وجهها بقسوة: «أية لعبة تقومين بها؟ لقد كنت قلت ان لا تقفلي الباب.»

كانت اصابعها ترتجف وهي تشير إلى الرسالة الملقاة بجانب سترتها المخملية على الأرض، فاندفع جايد

يلتقطها، ثم استقام ببطء وهو يقرأها بصوت مرتفع: «اتظنين انك في أمان؟... راقبي المكان...»

إلتفت ينظر اليها بعينين ضيقتين، وبللت شفتيها الجافتين بلسانها، كانت طبيعة هذا الإرهاب، كما فكرت بغضب، كانت لا تمثل أي تهديد، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من الإرتجاف.

قال لها وهو يرى وجهها الشاحب وعينيها المتسعتين وقد بدا في عينيه نظرة هزل طمأنتها.

«إن الأسلوب غير راقٍ، فإذا كان يشبه الرسائل الأخرى التي تلقاها والدك، فقد نجد فيها أثراً، يرشدنا، أين المغلف؟ ساكلف شخصاً من شركتي ليفحصه، يا آنا.»

«شركتك...؟»

التقطت المغلف عن الأرض كان قد وصل تسليماً باليد وليس بالبريد، وربما كان هذا ما أرسل قشعريرة الخوف في جسدها اكثر من الرسالة نفسها.

اجابها: «نعم واسمها (امان على مدى العالم).» وقابل نظراتها المضطربة، بجمود وهو يقول هذا.

فقالت وهو يقودها إلى سريرها بحزم مزيج بالرفق: «كنت... كنت اظنك تعمل بمفردك.»

«كنت كذلك، ولكن ليس الآن، إصعدي إلى سريرك، يا آنا، سأطلب لك بعض الشاي.»

لم يكن غافلاً عن حبها للشاي، كما اخذت تفكر، يا لها من بلهاء وهي ترتجف كورقة الشجر بينما كل ما فعلته هو فتح وقراءة رسالة من دون توقيع...

همست: «هذا شيء مخيف، يا جايد، ان التفكير في أن ثمة

شخصاً أحضر هذه الرسالة تسليماً باليد، داخلاً إلى المسرح بكل اعصاب هادئة... وذلك لكي يترك لي هذه الرسالة...»

«انه مخيف بكل تأكيد، وهذا هو سبب وجودي هنا، هل نسيت؟»

«كلا...» ونظرت إلى ابتسامته النادرة والتي لا تكاد تصل إلى عينيه، ثم كف قلبها عن الانقباض خوفاً ليمتلىء بدلاً من ذلك بمشاعر حمقاء.

صعدت إلى السرير، ثم استلقت بضعف على الوسائد وقد أدركت مبلغ الإرهاق الذي تشعر به. فالتمثيل على المسرح، حتى دورها الجزئي الصامت في مسرحية الليلة، كان يستمر ثلاث ساعات دون توقف، وإلى ليلة السبت، بعد اسبوع كامل من التمثيل ليلياً وصباحين، كانت قد اصبحت شبه منهارة، وفوق كل شيء كان هذا الأمر يضغط على اعصابها بشكل لا يطاق...

كانت على وشك النوم عندما دخل جايد بصينية الشاي، فتحت عينيها الناعستين فرأته واقفاً بجانب السرير ينظر اليها جامد الأسارير.

قال وهو يناولها فنجان شاي، ثم يسكب لنفسه آخر وقد جلس على كرسي بجانب السرير: «لقد تكلمت مع والدك، لم يبق سوى ليلتين على ابتداء إجازتك التي تستغرق عشرة أيام، يا آنا، انني لست مستعداً للمجازفة، ولهذا سآخذك إلى خارج المدينة غداً...»

اشتدت اصابعها على الفنجان، وإذ حاولت ان تستقيم في جلستها، كادت تهرق الشاي الساخن.

ابتدأت تقول بصوت خافت مرتجف: «جايد. لا يمكنني ان اذهب إلى أي مكان، فانا ملزمة بالظهور في ثلاث عروض و...»

فقاطعها بصوت لا يعرف التسامح: «انظري إلى نفسك يا آنا.»

شعرت لضعفها، وكأنها بجدالها هذا معه تضرب رأسها على جدار حجري، بينما تابع هو يقول: «انك مرهقة وستمرضين إذا لم تكفي عن الضغط على نفسك. سننتهي من ذلك، وبعدها تعودين إلى مهنتك، اما الآن فإن سلامتك هي اهم من أي شيء آخر.»

فردت عليه بحدة: «لا يمكنك ان ترغمني على الذهاب إلى أي مكان، إلا اذا كنت قاصداً خطفي.»

«سمي ذلك ما شئت، فالطائرة ستتحرك باكراً صباح غد، وسنكون على متنها.»

شعرت بحرارة تجتاح جسمها مالبثت ان تبددت تاركة مكانها برودة وارتجاف وتوتر ومزيجاً من الخوف والغضب.

ابتدأت تقول: «انني لن...» واخذ صوتها يعلو إلى حد الهستيريا.

فقاطعها قائلاً: «لو ألجأني الأمر إلى سجنك في غرفتك هذه الليلة، فسأفعل، فإذا لم استطع اخراجك من هنا، فهذا يعني عدم وفاء لعهدي لوالدك.» نظرت بوحشية إلى وجهه المظلم الجامد، وشعرت بالدم يجري بسرعة في عروقها.

همست قائلة: «جايد، لن تخيفني بمثل هذه الأشياء.»

ماذا حدث لها؟ ولماذا لا تكافح مشاعرها نحو جايد التي عادت من جديد؟

قال بهدوء: «لا تجعليني أرغمك على هذا.»

حدّقت آنا إليه وقد عاد إلى ذاكرتها أجزاء من الماضي بدا وكأنها امتزجت بالحاضر.

تلك الليلة في منزلهم فارتينغلي، شعورها عندما اخذ يتحداها بالنسبة إلى العطر الذي كانت تضعه، حينما تقدمت اليه بهدوء... انقطاع الكهرباء وصعوده معها إلى غرفتها لطمأنتها إزاء خوفها من الظلام... وهكذا كان الشيء يقود إلى آخر...

«جايد...» وجدت نفسها تهمس باسمه بصوت عاطفي... ومالبثت ان شعرت بالخجل من نفسها.

ساد صمت مثير عادت بعده تقول: «ارجوك... ان عليّ ان أبقى في ستراتفورد حتى يوم الأربعاء يا جايد... انني... انني سأكافئك على هذا.»

«يا لك من محتالة.»

«ألا تريد ان... ان تحبني؟» قالت ذلك وفؤادها يخفق بشدة، شاعرة بانها على وشك الإغماء.

اجابها بهدوء: «اهذا جزء من رشوة لكي تحصلي على مرادك؟» ولكن صوته كان يرتجف.

اغمضت عينيها شاعرة بالدوار، أتراها كانت ترشوه حقاً لكي تحصل على مرادها؟ لم يكن لديها أقل فكرة عما كان دفعها إلى هذا القول، «جايد... ارجوك.»

«انا لا اصدق ذلك.» ابتعد عنها وهو ينظر اليها بمزيج من الغضب والهزل، والرغبة التي كان ينكرها.

«انك عميلتي رسمياً، يا آنا، وانا اتجنب التورط عاطفياً مع عميلاتي، وبعد، هل أنت نفس آنا تلك التي قالت لي منذ اسبوع ان اذهب إلى الجحيم؟»

«جايد...»

فقال ساخراً: «كما انك تتغلبين على كراهيتك لي لأجل مهنتك؟»

«ان كلامك هذا... كلامك عن عدم رغبتك في التورط عاطفياً مع عميلاتك... اظنك تتجنب التورط عاطفياً بشكل عام، أليس كذلك؟»

«انني اعرف متى اخرج من الوضع المحرج يا حبيبتي.» قال ذلك ساخراً ثم تابع يقول: «انك رائعة الجمال، وانا مجنون رغبة بك، ولكنني لا احب ان تتحايلي عليّ، هيا عودي إلى فراشك.»

ثم استدار خارجاً من الغرفة دون ان ينظر اليها، وقد اخذ المفتاح من الباب ثم اقفله من الناحية الأخرى. بينما ألقت هي بنفسها على الفراش، ها قد تصرفت بحماقة للمرة الثالثة، فنبذها للمرة الثالثة.. وهي الآن سجينة غرفتها، كطفلة شريرة، انها تفضل على هذا لو كان عدوّها المجهول قد خطفها.

وامتلأت مرارة وألماً، فدفنت رأسها تحت الوسادة وهي تشهق باكية بغضب لم تعرف مثله في حياتها...

• • •

كان الجو في ذلك الصباح المبكر غائماً عندما اتجهت بهما السيارة إلى مطار هيثرو. «اشعر وكأني مقيدة اليدين كسجينة تنقل من مكان إلى مكان.»

قالت ذلك لجايد في المطار وهي تنظر إليه بعينين ملتهبتين. كانا قد انتهيا من الإجراءات المعتادة للسفر ولم تجد وقتاً سوى الآن لكي تسأله إلى أين كانا ذاهبين.

«إلى جزيرة انتيغوا.» قال لها ذلك وهو يتفحص الركاب الآخرين في قسم الدرجة الأولى، بعينين حادتين، كان يبدو أنيقاً ببنطلونه البني المائل إلى الأصفر وقميصه الأبيض وسترته الشاموا البيج على كتفيه. كما كان يبدو هادئاً مطمئناً إلى حد بعيد. كيف بإمكانه ان يبدو بهذا القدر من الهدوء والإطمئنان والعافية بينما هي تبدو وكأنها انهت عشر جولات مع الملاكم محمد علي كلاي؟ وتساءلت بعنف عما سيفعل لو ان شخصاً اندفع اليها وخطفها؟ هل سيسحب مسدسه؟ وهل هو يحمل مسدساً؟ انها لم تسأله عن ذلك قط كما انها لم تلاحظ ذلك...

«انتيغوا؟ آه، اترى هذا إرهاباً لي؟» ردت عليه بذلك بحدة. كانت بحاجة إلى نظارتين سوداوين تخفي خلفهما انتفاخ عينيها من جراء الحرمان من النوم الذي يبدو عليهما، انها تدرك انها كانت تتصرف بشكل مخيف، ولكنها كانت من الغضب والإرهاق والكرامة المجروحة بحيث لم تستطع تجنب ذلك، دست يديها في جيبيها بعنف واخذت تحدّق في الأرض المكسوة بالسجاد، شاعرة بالكراهية له ولنفسها.

لم يعبأ بالرد عليها. فأخرجت يديها تعقدهما فوق صدرها وقد تملكتها التعاسة، لقد كان ما حدث الليلة الماضية مازال يؤلمها كسكين مغمد في قلبها. ولكنها خرجت من تلك الخيبة بشيء من المصداقية على الأقل. ذلك

لأنه كان من الأفضل لها ان تجعله يعتقد بأنها تحتال عليه لكي يدعها في ستراتفورد... فهذا اقل إذلالاً لها من ان تعترف بأنها قد غرقت مرة أخرى، بتلك الرغبة المدمرة نحوه...

وعندما رأته جالساً متجاهلاً وجودها بجانبه، سألته: «هل من المسموح لي الذهاب إلى استراحة السيدات دون ان يرافقني احد؟»

«بكل تأكيد فأنت ضيفتي.»

بالرغم من تمردها وجدت من الصعب ان تقفل على نفسها الباب في المرحاض، فقد كانت اعصابها في غاية التوتر، وكانت تجفل لأقل حركة، وعندما خرجت كان المرحاض الأخير مشغولاً، وكان الاحساس بأن هناك من يترصدها متحيناً الفرص ليقفز عليها، كان هذا الاحساس من السخافة بحيث جعلها تثور غضباً على نفسها وهي تغسل وجهها وعينيها بالماء البارد. لقد مرت عليها أسوأ ليلة في حياتها وهي تتقلب في سريرها لا يأتيها النوم سوى بشكل متقطع كانت اثناءه تراودها احلام تعذبها إذ كانت تعبر عن مشاهد من تلك الليلة البعيدة في غرفتها في منزلهم فارتينغلي، وتصرف جايد بشهامة وهو يرفضها.

ما الذي جعلها تفقد صوابها الليلة الماضية إلى الحد الذي كررت معه ذلك المشهد المذل؟ أتراه كان ردة فعل لفتحها تلك الرسالة؟ مهما كان عذرها لذلك، فقد كان شيئاً لا يصدق...

وشعرت بكراهية واحتقار لعملها ذاك، وبدت بسترتها

القطنية المتهدلة وبنطلونها الأسود القطني، وقميصها الأبيض المقفل، وشعرها المكوّم فوق رأسها وقد تناثرت خصلاته في كل الأنحاء، بدت كما كانت تشعر تماماً. شعثاء، مرهقة بعيدة عن أي إغواء أو جانبية، عبست وهي ترى شكلها في المرآة كئيباً مزرياً جعلت المرأة الطبيعية الشكل والتي كانت خرجت من المرحاض لتغسل يديها، جعلتها تنظر اليها مجفلة...

• • •

لم يكن من عادتها النوم اثناء السفر بالطائرة، ولكن هذه الرحلة الطويلة إلى انتيغوا والتي جاءت بعد تلك الليلة المضطربة، جعلتها تستغرق في النوم. وعندما استيقظت ووجدت ان وسادتها كانت كتف جايد، اجفلت وابتعدت عنه بسرعة، ثم أمضت بقية الرحلة تهوم بين الحين والحين، إذ كان يقاطعها ما كانوا يحضرونه اليها من طعام وشراب، أو تقرأ رواية المسرحية المثيرة التي كانت اشترتها في المطار. وكانت مسرورة لشرائها الكتاب، فقد وفر لها الوحدة التي كانت بحاجة اليها اثناء تضميدها جراح كرامتها، هذا بينما كان جايد يقرأ رواية نفسانية عن القلق من تأليف برايان مور المؤلف الإرلندي الذي كان قد اخبرها عنه باختصار، بأنه الكاتب المفضل لديه.

وعندما اخذت الطائرة اخيراً تدور لتحط في المطار، كانت نتيجة فرق التوقيت في الزمن ان الوقت كان فقط في منتصف العصر.

تمتمت تقول وقد منعها التوتر من الاعتراف بالبهجة

القليلة التي تملكتها وهي تنظر إلى تلال الجزيرة الخضراء التي كانت تلوح تحتهم، تمتمت تسأله: «هل هنالك من يعلم بحضورنا إلى هنا؟»

«لا احد، والدك لديه فكرة غير واضحة عن مكاننا...» ورفع جايد بصره لينظر ببرودة إلى التمرد الدائم الذي كان يبدو في ملامحها، وهو يتابع قائلاً: «ولكنني لم أخبره بالضبط عن مكاننا. لقد اتصلت به في ميامي إذ ان لدي مكتباً هناك، وبإمكانه ان يتصل بنا متى أراد.»

«ألا تثق بأبي؟»

«أثق به طبعاً، ولكن كلما كان عدد من يعرفون قليلاً، كان ذلك افضل، فأنا لا استبعد ان تكون هذه التهديدات بالخطف يقوم بها شخص من ضمن الشركة.»

عند ذلك نزعت نظارتيها القاتمتين، وحدقت فيه بدهشة: «هل انت جاد؟ اتظن حقاً ان احد مستخدمي أبي تصدر عنه مثل هذه التهديدات بالخطف؟»

«ليس بالضرورة. ان لدي عدة نظريات في ذلك يبحث بشأنها المستخدمون عندي. وكل ما عليك القيام به هو ان ترتاحي هنا، يا آنا، ان تنسي مشاكلك.»

ترتاح؟ وجايد بجانبها؟ ان الأسهل عليها ان ترتاح على سرير من المسامير...

حتى هواء المطار بدا منعشاً وهي تنزل من الطائرة. كان المطار يتلألأ في جو البحر الكاريبي الدافىء، حيث صفوف النخيل السامقة يحرك رؤوسها بفتور، نسيم الشاطىء، ووقعت انظارها على اكواخ بيضاء خلفها ادغال خضراء، وتواجه زرقة المحيط اللانهائي، كان تناقض كل هذا مع جو

انكلترا البارد الرطب، بالغاً إلى حد لم تستطع معه تمالك نفسها إلا بصعوبة.

شاهدت بعد انتهاء اجراءات الوصول الرسمية وسيرهما بأمتعتهما، شاهدت رجلاً يتقدم نحوهما بسرعة، كان نحيفاً قد لوّحت الشمس وجهه بشكل بالغ، وكان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً عادياً، وكان شعره البني القصير الكثيف أشبه ما يكون بشعر جايد لولا شعيرات بيضاء على الصدغين.

«مرحباً يا جايد، كيف حالك؟»

وتبع ذلك مصافحة دافئة تبعها احتضان كل منهما للآخر على الطريقة الأمريكية.

«احوالي طيبة، كيف حالك أنت؟»

«رائعة، ليس هنالك ما اشكو منه...» كان الرجل اقصر قليلاً من جايد، واكبر منه سناً بحوالي العشر سنوات، وأدار عينين فضوليتين زرقاوين نحو آنا التي وجدت نفسها تستجيب لابتسامته الودود بالرغم من عزمها المتمرد على البقاء منعزلة اثناء اقامتها المرغمة عليها هنا.

«هذا صديق لي يا آنا، بليك شيراتون.»

فصافحته شاعرة بالذهول البالغ، صديق؟ وهل جايد ستيل من الإنسانية بحيث يكون له صديق؟

«لقد جاء بليك وزوجته نينا إلى هنا من فلوريدا وذلك منذ عدة سنوات. ان لديهما فندقاً في الجزيرة.»

«جميل ان نتعرف عليك، يا آنا، ان نينا مبتهجة للغاية، فهي لا تكاد تستطيع انتظار مقابلة شخصية مع ممثلة في فرقة شكسبير الملكية...»

«ليس لدينا وقت نضيعه، إذن.»

سمعت آنا نفسها تجيب بذلك، ببرودة، متجنبة نظرة جايد الحادة، وهي تتابع قائلة: «وحيث انني أرغمت على إلغاء عقدي الليلة الماضية، لا اظنني سأبقى في تلك الفرقة.»

اثناء انطلاق السيارة بهما خلال الجزيرة، جلست آنا في المقعد الخلفي صامتة، بينما جلس جايد وبليك في الأمام بعد ان تبادلا نظرة خاطفة ذات معنى، ثم اخذا يتبادلان احاديث متقطعة. نظرت باستياء إلى رأس جايد بشعره الكثيف الداكن اللون وإلى كتفيه القويتين، كان شعره يصل إلى ياقة قميصه.

كان جايد وبليك يضحكان لشيء ما، وكان حديثهما المتبادل بسهولة يكشف عن صداقة طويلة راسخة، لقد بدا واضحاً ان بليك كان يوماً ما، يزاول نفس عمل جايد، وان جايد اعتاد ان يمضي الكثير من اوقاته هنا للراحة والإسترخاء في أوقات فراغه.

شعرت بتشوش بالغ في ذهنها، وتمنت لو لم تكن فظة بذلك الشكل. تمنت لو استطاعت ان تفصح عما تشعر به من خوف وغضب لمعاملته لها بهذه الغطرسة ما يجعلها تحس وكأن الأرض تهتز من تحت اقدامها، وعندما كانت سيارة الجيب تنطلق بين الأشجار، ثم حول الشواطىء، لتعود بعد ذلك إلى حيث الخضرة، اخذت تبحث في ذهنها عن جواب لهذا التشوش الجديد الذي انتابها...

وإذ بهزة عنيفة تنتابها وهي تجد الجواب لهذا، وسواء اعجبها أم لا، فقد كانت مجموعة أخرى من المشاعر التي تملكتها وهي تتذكر كبرياءها المحطمة وكرامتها المداسة،

قد حجبت حتى الخطر الذي يترصدها بالنسبة إلى سلامتها.

لقد تيسر لها إلقاء لمحة مختصرة غير منتظرة على الحياة الخاصة لأكثر من قابلتهم من الرجال، وحدة وانعزالا...

ولأول مرة منذ عرفت جايد حصلت على فرصة تكتشف فيها شيئاً عنه، حتى انها ربما ستستطيع ان تعرف الرجل الحقيقي المتواري خلف الحواجز تلك. ولم يكن لديها فكرة عن الطريقة التي ستواجه بها الموقف...

الفصل السادس

«والآن، كيف سيكون حال المسرح من دونك؟» قالت نينا ذلك وهي تنظر إلى آنا بعينيها العسليتين الواسعتين الودودين، «ألا ينهار البرنامج بأكمله إذا ما فقد احداً من ممثليه؟»

فقالت آنا: «ليس تماماً، فهناك مجموعة من البدلاء.» وحاولت جاهدة ان تبتسم لزوجة بليك الجميلة السوداء الشعر وهم حول مائدة العشاء والتي كانت حافلة بمختلف انواع الطعام من ثمار واسماك وسلطة مكونة من خضار غريبة، وكان لهب الشموع يخفق ملقياً ظلالاً وردية على غطاء المائدة الدمشقي ذي اللون الأصفر الباهت، وكذلك على ادوات المائدة الفضية والكؤوس البلورية.

كانت جلستهم في مطعم الفندق ذاك، والقائم على الشاطيء تحت مظلة كبيرة من القش، كانت رائعة مترفة للغاية، فالنخلات القائمة وشلالات الأنوار المصنوعة بشكل الأزهار الاستوائية كانت تتدفق في كل الأنحاء. كما كان الندل ذو الجاكتات البيضاء يسيرون بهدوء بين الموائد، حيث كان الزبائن من الطبقة العالية يتحدثون بأصوات منخفضة، وتحت الشرفة مباشرة، كانت امواج البحر تتراجع لتعود فتندفع نحو الشاطيء، وكان الهواء الدافيء يحرك أوراق النخيل الجافة فيصدر عن ذلك حفيف يزيد من شاعرية ذلك الليل الإستوائي.

كان الزبائن يمثلون جنسيات مختلفة، ولكن آنا تكهنت بأن ثمة شيئاً واحداً يشتركون فيه وهو الثراء الطائل والنشأة الحسنة، فقد كانت تستطيع تمييز هذه الطبقة التي مكن لها ثراء أبيها ان تكون فرداً منها، ولكنها كانت دوماً تشعر بالثورة ضد المباهاة والتظاهر.

كان بليك يعد بفخر التسهيلات الموجودة للسائحين. بدا وكأن كل شيء موجود لأجلهم ابتداء من أجهزة الغطس إلى ملاعب التنس، هذا إلى ثلاثة شواطىء، ومتجر يبيع التذكارات وملابس الشاطىء، ثم حوالي الأربعين فداناً من الأراضي الاستوائية للتجوال فيها...

لقد اعطياها هي وجايد كوخين مما تسمى باكواخ «مقدمة الشاطىء.» وهي مسقوفة بالقش لا تبعد سوى اقدام قليلة عن الخط الذي يصل إليه المد وذات شرفات تطل على اكثر مناظر الغروب التي رأتها آنا في حياتها، شاعرية.

لقد قال بليك ضاحكاً: «توقعي سقوط بعض الأمطار، فهذا هو موسمها، ولكن المطر لا يدوم طويلاً هنا، ذلك ان انتيغوا هي اكثر جزر ليوارد جفافاً، وهكذا يمكنك الاسترخاء تماماً...»

وفي جلستهم تلك تداعبهم النسمات الدافئة، وطنين زيز الحصاد الرتيب يكاد ينومهم مغناطيسياً، كان من الصعب ان لا تسترخي.

كان وجود جايد على الناحية الأخرى من المائدة، والذي كان يبدو جذاباً للغاية في قميصه الحريري الأخضر وبذلته الرمادية، كان وجوده ذاك يبدّد هدوءها النفسي، ولكن هذا لم يكن شيئاً جديداً، ولكن بليك ونينا كانا طبيعيين على

الأقل في ثرثرتهما وفضولهما وما يبدو منهما من ثقة، ورغم انهما كانا في بداية الأربعينات من سنهما، إلا انهما كانا يتفجران بطاقات ايجابية من الممكن ان تحفظهما نشيطين طويلاً، وشعرت نحوهما بحب بالغ.

كانت نينا تقول وقد بدا الإنبهار في عينيها: «إذن، إذا مرض الممثل فهناك دوماً بديل يأخذ مكانه؟»

فاومأت آنا إيجاباً وهي تعبث بحافة فنجانها، «نعم، فانا مثلاً أمثل في ثلاث مسرحيات حيث عليّ ان ألقي في احداها حديثاً قصيراً، وفي الاخريين أؤدي دوراً مع آخرين لا اتحدث فيهما، ولكنني بديلة للممثلة البطلة في إحدى تلك المسرحيات... وهكذا إذا مرضت واحدة منهن...»

فقالت نينا باسمة بشيء من العطف: «ولكنك لست مريضة، ثم انك قلقة من تخليك عن كل شخص.»

«نعم.»

«كما انك قلقة من ذلك التهديد بالإختطاف أليس كذلك؟»

«نعم.»

فضحك بليك قائلاً بشيء من الرقة: «يا لك من مسكينة، إقضي اكثر عطلتك هنا، فمظهرك يعبر عن حاجتك إلى عطلة.»

«في الورطة التي أنا فيها الآن، لا يبدو ان لدي خياراً آخر، أليس كذلك؟»

فتدخل جايد قائلاً وقد بان الجمود في ملامحه: «كلا، ليس لديك أي خيار، وهكذا ما رأيك في ان تدعي عنك تمثيل دور الشهيدة في سبيل عقيدتها، والإعتراف بانك ابتدأت بإمتاع نفسك؟»

شعرت بوجنتيها تلتهبان فالتفتت ببطء، تقابل نظرات جايد العنيفة.

فردت عليه بحدة وقد بان العداء في عينيها: «نعم، انا مستمتعة بوجودي هنا، وانا أمضي وقتاً رائعاً، شكراً لك، وعلى فكرة، لماذا لا تدع عنك تمثيل دور الحارس الخاص المتجمد العنق، وتأتي لترقص معي؟»

فقال وقد ضاقت عيناه واصبحتا كحجر الصوان: «أنا لا أرقص.»

تبادلت نينا مع بليك نظرة هازلة، بينما كانت آنا تقول بصوت الطفلة المدللة: «ولكنني أريد ان أرقص، انني واثقة من ان أبي منحك من الأجر ما يكفي لكي تسليني.»

نهض جايد ببطء وهو ينظر إلى بليك غامزاً بعينه. وكانت الفرقة الموسيقية تعزف بنشاط من موقعها في آخر الشرفة تحت الضوء المتدفق من النخيل.

قال لها بحدة، وهو يجذبها من يدها بعيداً عن حلبة الرقص والراقصين، مقتحماً بها ظلام الليل الرطب المليء بحشرات الحصاد، لتجد نفسها تنحدر إلى حيث الشاطىء، بينما الرمال المرجانية تنسحق تحت حذائيها.

نصف ثائرة، نصف مدهوشة، استدارت إليه وهما يصلان إلى حافة المياه.

قالت له وهي ترتجف رغم دفء الليل: «ما الذي حدث لك؟ المفروض ان تحميني لا ان تهاجمني.»

تركها، ووقف يتنفس بعمق، ثم قال أخيراً بصوت خشن كان جديداً عليها، كانت لهجته غاضبة جداً إنما مع نفسه،

قال: «أعلم هذا، وانا آسف، ما كان لي ان اسمح لك باستفزازي... مع كل الخبرة التي لديّ.»

جلست على الرمال الدافئة وهي تتمالك انفاسها الممزقة، خلعت حذائيها ثم احتضنت ركبتيها بذراعيها، كانت رائحة البحر نظيفة نقية منعشة، فحاولت تنشقها إلى اعماق رئتيها، وذلك لكي تخلص نفسها من هذا الشعور بالعار... من احتقار النفس، ثم سألته بصوت مرتجف: «اتعني... خبرتك معي؟»

فجلس هو أيضاً، على مسافة اقدام منها، دون ان ينظر اليها، وهو يقول: «نعم، معك...»

«اتكرهني إلى هذا الحد؟»

كان هذا سؤالاً مؤلماً لها، ولكنها شعرت بأن عالمها كله قد تقلص إلى هذه اللحظة، هذا المشهد الصغير المتوتر على الشاطىء الإستوائي، لم يكن يهمها أي شيء آخر ما عدا الحقيقة...

اجابها: «انا لا اكرهك.»

«ما هو شعورك نحوي إذن؟»

فالتفت ببطء ينظر اليها، كان البدر مكتملاً، كانت نظراته تكاد تحطمها بجفائها وهو ينظر إلى وجهها الشاحب.

ثم قال باقتضاب: «في هذا الحين؟ انه الشعور بالواجب.»

فقالت بحدة: «كلا، ليس هذا الحين، بل في أي وقت، ما الذي شعرته نحوي، يا جايد؟ ربما عدا الشفقة.»

فقال بحدة: «الشفقة؟ وما الذي يدفعني إلى الإشفاق عليك... انت الفتاة الصغيرة المدللة والغنية التي تملك كل

شيء؟ والمعتادة على تلقي إعجاب كل رجل في مساحة عشرة أميال؟»

«هذا ما تقوله لي دوماً، اتظن ان لديّ كل هذا الطموح للنجاح بسعيي الخاص لو انني فعلاً (تلك الفتاة الغنية المدللة) كما تقول؟ اتظن انه كان يمكنني شق طريقي بنفسي خلال السنتين الماضيتين في معهد التمثيل، رافضة أي مساعدة من أبي، لو انني مدللة؟»

وعضت شفتها، ما الذي جعلها تقول كل هذا، هذا بينما اخذ هو ينظر اليها بفضول: «هل فعلت كل ذلك؟» اخذ يقيّم هذه المعلومات بصمت بان فيه شيء من الهزل، ثم قال: «وماذا بالنسبة للسنة الأولى؟»

ردت عليه بصمت بانها لم تكن قد قابلته في ذلك الحين. ثم اخذت تحدق اليه بسخط بالغ. لِمَ أخلق لكي اشعر بالذنب لأن ابي غني، لِمَ اقابل الرجل الذي جعلني أشعر بأن عليّ ان اثبت له شيئاً

لكنها قالت له بصوت عال أجش: «انك تسخر مني على الدوام، ولكن هل انت كامل تماماً؟ هل جايد ستيل انسان متفوق؟ خالٍ من أي عيب؟»

«كلا.» كان جوابه الجازم هذا بصوت أجش، أيضاً. كان جالساً على الرمال، لا يبعد عنها سوى اقدام قليلة، ولكن التوتر الذي بينهما شحن الظلام بالكهرباء.

سألته ساخرة: «كلا؟ اتعني انك تعترف ببعض الفشل؟»

«نعم، فقد خذلت بعض الناس في حياتي.»

سألته برقة وقد أحست ببعض التغيير في نبرة صوته، ولكنها لم تكن متأكدة تماماً من هذا، سألته قائلة: «من؟ من هو الذي خذلته، يا جايد؟»

ساد صمت متوتر قال جايد بعده بجمود: «انها أمي، عندما ماتت دون ان أتمكن من إنقاذها.»

أمسكت آنا انفاسها، وعندما التفتت تنظر إلى جانب وجهه الصارم، شعرت بألم يخترق صدرها، وامتلأت عيناها دموعاً.

كان ألم جايد غير المتوقع والطبيعي بالنسبة إلى نقص المشاعر لديه، قد صدمها بقوة محت معها كل دفاعاتها...

ومضت لحظة طويلة لم تستطع أثناءها ان تجد ما تقوله، فقد شعرت بجفاف في حلقها، وأخيراً قالت بحذر بعد ان بللت شفتيها: «أنت خذلتها؟ أنا لا اظنك تعتقد بهذا ولو لحظة واحدة، يا جايد. أليس كذلك؟ أم انك تريد ان تقول انك تسببت متعمداً بالحادث الذي حصل لها.»

«كلا... كلا...» كان جوابه خشناً يشوبه عدم الصبر.

«ولكنك تشعر بالذنب، وذلك لخطأ لم تتسبب أنت به؟»

«ربما.» وكان في هذا الجواب المقتضب إشارة إلى انهاء هذا الحديث. وابتدأ ينهض فنهضت هي على ركبتيها وهي تتمسك بذراعه دون ان تستطيع رؤيته من خلال دموعها، بينما جمد هو في مكانه.

«هل لك ان تتحدث إليّ؟ ان تخبرني بما حدث؟»

«لقد حدث ذلك منذ زمن طويل، ولا أريد ان اتحدث عنه الآن...»

«هل هذا هو السبب في اتخاذك هذه المهنة؟ أي ان تحرس الناس؟ ان تحميهم؟ ان تصلح بذلك ما كان حدث؟ أن... أن تحاول التعويض؟»

فقال بتهكم كئيب: «لا تحاولي تحليلي نفسانياً يا آنا،

فالإنفعال قد عاد اليك، انني لست أحمق، فأنا اعلم ان ما حدث لم يكن بسبب خطأ مباشر مني، انني عقلانيا، أعلم ذلك، ولكنه لا يوقف لديّ الشعور بالفشل، قد لا يكون هذا مفهوماً، ولكن بإمكاني ان أعيش مع ذلك...»

«ولكن ذلك النوع الغبي من الشعور بالذنب غير القائم على أساس، يمكنه أن... أن يذيبك.» قالت ذلك بصوت أصبح الآن اكثر تماسكاً. وضعت يدها على عينيها تريد بذلك البقاء متماسكة...

قال: «لقد اتخذت مهنة في جهاز الأمن لأسباب كثيرة مختلفة. وعندما احتاج إلى طبيب سأدفع الأجر.»

فانفجرت تقول وقد غاظتها سخريته: «اتعلم ما الذي افكر فيه؟ افكر في ان هذا بالضبط هو السبب الذي جعلك حارساً خاصاً، لأنك تخاف من ان تتألم مرة أخرى، وهكذا جعلت نفسك رجلاً خشناً لا يمكن النفاذ إليه، ولا يمكن لأحد ان يؤذيه.»

«إنسي هذه النظريات، يا آنا، فهذه المهنة تدر عليّ ربحاً طيباً، وانا احب صعوبات هذا العمل، ربما في تلك السنوات الأربع الأخيرة قد ابتدأت أحرر نفسي بعض الشيء من الإلتزام الكلي، فانشأت شركة ولم اعد اعمل بمفردي. والآن، اظن ان الوقت قد حان لعودتنا، وإلا ظنت نينا بنا الظنون.»

فهمست تقول: «هذا بينما أنت في الواقع، تراني من القبح بحيث تفضل السباحة في بحيرة مليئة بالتماسيح على ان تلمسني، أليس كذلك؟»

فالتفت اليها قائلاً: «آنا، أرجوك...» جعلها الغضب الذي

بدا عليه تتراجع إلى الخلف دون وعي منها، وإذا بها تتعثر بحذائها الذي كانت خلعته لدى وصولها فيختل توازنها وتقع على الرمال الناعمة.

وإلى جانبها، جثى على ركبتيه يساعدها على لملمة نفسها: «هل اصابك ضرر... يا حبيبتي؟»

فأطلقت ضحكة قصيرة مرتبكة: «كلا، لا بأس، ها انني سالمة كما تراني.» ووقفت بمساعدته حيث اخذت تنتعل حذائيها بينما كان يقول: «الأفضل ان نعود إلى البيت، يا آنا.»

«نعم، نعم...»

عليهما ان يذهبا، الآن قبل ان يلحقهما الندم...

• • •

استيقظت آنا في سريرها، في غرفتها حسنة التهوية في كوخ الشاطىء. كان الوقت نهاراً، وكانت الستائر الخيزرانية تخفف من وهج أشعة شمس البحر الكاريبي، كما كان هدير البحر الرتيب يبعث على الراحة والهدوء، وكانت مروحة السقف تدور على محورها بكسل.

تمطت ثم انقلبت على جانبها تبحث عن ساعتها، كان الوقت يقارب الظهر، لقد كانت الليلة الماضية تشعر بإرهاق بالغ بعد تلك الرحلة الطويلة، ما جعلها تستغرق في النوم في اللحظة التي ألقت بها رأسها على الوسادة.

عادت تريح رأسها على الوسادة، مستعيدة ذكريات ليلة البارحة... جلوسهما معاً على الشاطىء.. حديثه اليها عن نفسه.. ولأول مرة يتخلى عن حذره، ورصانته... مبدياً

نحوها مشاعر لم تعرفها منه من قبل... هل هو يحبها؟ لم يلفظ هذه الكلمة ولكن نظراته... تصرفاته...

وأخذ قلبها يخفق بعنف... ثم جلست فجأة لتنزلق بعد ذلك من جانب السرير بخفة متجهة نحو الحمام حيث وقفت تحت الدوش فترة عادت بعدها تتفحص بسرعة ملابس العطلة التي كانت نينا قد اشترتها لها من متجرها في الفندق، اضافة إلى ما كانت آنا احضرته معها على عجلة منها.

اخرجت ثوب سباحة قطعة واحدة من قماش حريري نحاسي اللون، ثم اضافت إليه ثوباً طويلاً مقفلاً ذا حزام جلدي يظهر نحافة خصرها، هذا إلى حذاء بأشرطة جلدية ناسب قدميها تماماً، وامام المرآة اخذت تدهن بشرتها بكريم مانع لحروق اشعة الشمس، لتضع بعد ذلك ظلاً أسمر ذهبياً على اجفانها بدا وجهها متألقاً ما جعلها تحدق فيه وكأنها ترى شخصاً غريباً في المرآة. وكانت عيناها الداكنتان تسودهما الآن نعومة مخملية، بينما بدت شفتاها اكثر استرخاء.

انها تحب. اعترفت لنفسها بذلك وقد تملكتها بهجة عارمة خالصة جعلتها تشعر وكأنها تطير فوق الأرض، وتتألق بنور غير مرئي...

«صباح الخير.» كانت ابتسامة نينا وهي تحييها بمرح تحمل من الدفء ما كان على آنا ان تمنع نفسها من احتضانها. كان المنظر الذي تطل عليه الشرفة يماثل جمالاً ذلك الذي يشرف عليه كوخها، كانت السماء الزرقاء مقوسة إلى ما لا نهاية، وفي وسطها الشمس ساطعة حارقة. وخلف الفناء الفسيح ذي الإخضرار الذي لا يصدق، كانت مياه

البحر تزحف بقوة معتدلة على الشاطىء الناصع البياض الذي تتناثر فوقه مظلات القش، وتحيط به من كل جهاته اشجار جوز الهند الزمردية الخضرة وشجيرات أزهار وردية وحمراء وبرتقالية وصفراء الألوان...

قالت آنا ببساطة وهي تبتسم بفرح غامر جعل نينا ترمش بعينيها بعجب: «هذا المكان هو الحلم بعينه، انني آسفة لتأخري في النوم، لا تهتمي بالإفطار... ان القهوة وحدها تكفي...»

فقالت نينا وعيناها العسليتان تنقلان بفضول بين ملامح آنا المتألقة، قالت عاتبة: «يجب ان لا تقولي كلاماً كهذا، تعالي واجلسي هناك حيث تنتظرك وليمة فاخرة...»

لم تكد آنا تلحظ هذه المائدة الحافلة والتي يظهر انها أعدت للغداء، والتي كانت معدة بشكل مقصف، ذلك انها لم تعد تستطيع صبراً على رؤية جايد رغم انها كانت تشعر بخجل بالغ، ذلك انه لم يكن لديهما الوقت الكافي للحديث عن الليلة الماضية وما اصبحت تعنيه لكل منهما...

وأخيراً سألت: «اين جايد؟»

«لقد استقل الطائرة إلى ميامي باكراً هذا الصباح.»

بدا وكأن قول نينا هذا قد تعلق في الهواء بينهما أشبه بقنبلة لم تنفجر. وتملكت آنا صدمة جعلتها تفتح فمها ذاهلة، رحل؟ استقل الطائرة إلى مكان ما دون ان يخبرها؟ وتبدل رعبها إلى غضب كما تملكتها رجفة خوف.

«أتقولين رحل؟ ولكن... ماذا بالنسبة إليّ؟» ابتلعت

ريقها وهي تجاهد في التحكم في ما تشعر به من عذاب مبرح «ولكن المفروض ان يحميني.» بدا اهتمامها بنفسها هذا سخيفاً كما ان حمايته لها أو عدمها لم يكن هو السبب على الاطلاق. ولكنها لا تستطيع بالطبع ان تفصح لنينا عن السبب الحقيقي لاستيائها.

فقالت نينا تهدئها: «انه واثق من سلامتك هنا، فقد اعتاد، هو وبليك، العمل معاً، وهو واثق من ان بليك سيهتم بسلامتك إلى حين عودته.»

شعرت آنا بمزيج من الغضب والإذلال يتملكها وحاولت ان تبتسم بتوتر وهي تشيح بوجهها تخفي بذلك مشاعرها المحطمة.

«اشكرك جداً، لا اظنني سأتناول طعام الافطار على كل حال، فأنا لا اشعر بالجوع.»

ثم عادت ادراجها إلى الكوخ، رافعة الرأس، حيث اتكأت على حاجز الشرفة، تمسح دموعها بعنف وهي تسحب نفساً مرتجفاً تمنع بذلك نفسها من الإنفجار ببكاء عنيف.

كيف حملت نفسها على تصديقه الليلة الماضية؟ ولماذا كل هذا العجز لديها في الحكم على الآخرين وفي ضعف حدسها؟ بينما المفروض فيها ان تعلم كيف يشعر الآخرون، وكيف تنشأ المشاعر؟ انها ممثلة مؤهلة فكيف حدث ان فشلت إلى هذا الحد، بينما الأمر يتعلق بحبها وحياتها العاطفية؟ كيف بلغ بها الغباء إلى حد تخطىء معه فهم الدلائل؟

وعادت إلى ذاكرتها تلك الليلة في منزلهم فارتينغلي منذ أربع سنوات عندما تجاهل جايد تصرفاتها نحوه، وهذه

المرة تجاوب معها عاطفياً إلى حد شعرت معه بأن ليس من المستبعد ان يكون غارقاً في حبها كما تحبه.

لقد عاد اليوم إلى (العمل كالعادة) وكأن لا شيء حدث. ولكن هذه المرة فقط لم يكن يبدو أنها في قمة اهتماماته بصفتها زبونة.

الفصل السابع

كانت كراسي حمامات الشمس المتناثرة على الشاطىء مترفة ومريحة للغاية، فقد كانت مظلة القش تدفع أشعة الشمس الحارقة.

كانت آنا مستلقية على ظهرها على منشفة قرمزية، مغمضة العينين، وهي تحاول أن تفكر. كانت الأمور قد اصبحت اكثر يسراً بعد ان اخذت الأيام تتوالى واحداً بعد الآخر، وكان قد مضى أسبوع تقريباً على وصولها إلى الجزيرة.

قد يكون حارسها الخاص قد هجرها، ولكن معاملة اصدقائه لها كانت في منتهى الرقة واللطف، وإذ لم يكن لديها شيء تقوم به سوى الجلوس تحت اشعة الشمس، فقد اكتسبت بشرتها مقداراً لا بأس به من السمرة، وكان سخطها على معاملة جايد لها قد خفف منه مؤقتاً ذلك الاهتمام والمودة، هذا إلى الكسل الذي فرض عليها...

طنت حشرة قرب أذنها اليمنى، ولكنها كانت من النعاس بحيث لم تستطع الحراك وانخفض الطنين إلى همهمة رتيبة ومن ثم تلاشى تماماً، ومن بعيد كان صوت تلاطم الأمواج يصل إلى مسامعها، كما كانت أوراق أشجار النخيل تخشخش بفعل النسيم الجاف. وكانت على وشك الاستسلام إلى النوم عندما سمعت صوت رجل يقول بهدوء: «هل ستأتين للغطس؟»

استقامت جالسة بسرعة كادت معها تفك رقبتها.

لقد عاد جايد، كان جالساً بهدوء على كرسي التعرض للشمس القريب من كرسيها، وقد بانت الرصانة على ملامحه، اخذت تحدّق إليه وهي ترمش بأجفانها، محاولة ان تكبت مشاعرها.

لقد سافر دون كلمة، وها هوذا الآن يعود فجأة، متصرفاً بعدم اكتراث بالغ وكأن شيئاً لم يحدث.

افزعها مبلغ الغضب الذي تملكها، فقد كان عليها ان تحتفظ بهدوئها.

ذلك ان صوتاً في داخلها قد حذرها من انها إذا اخذت تلومه فقد يضحك منها، فهي لم تكن تعني له شيئاً، وما كان حدث بينهما لم يكن يعني شيئاً بالنسبة اليه، وكان عليها ان تتذكر ذلك إذا كان عليها ان تبقي على صحبته لها إلى نهاية هذا الكابوس...

ولكنها لم تستطع الكف عن التحديق اليه، فقد كان يبدو رائعاً بملابس السباحة هذه التي كان يرتديها ما جعل كل ما اكتسبته من راحة واسترخاء، يتلاشى، كانت في ثوبها الذي ترتديه، وضفائر شعرها المدلاة على ظهرها، قد شعرت بنفسها ضعيفة إلى درجة مؤلمة، جسدياً وشعورياً.

«إذن فقد وجدت وقتاً لتأتي لتعرف ما جرى لأقل زبائنك شاناً؟» سمعت نفسها تقول ذلك بلهجة لاذعة عنفت نفسها لأجلها، كانت بحاجة إلى إظهار عدم الاكتراث، تشبهاً به، فقد كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لجعله يعتقد بأنها لم تهتم به...

فرد عليها قائلاً بهدوء: «انك لست (أقل زبائني شأناً).»

كانت نظراته الكسلى تتنقل فوقها جاعلة جسدها يتوتر، فقد كان تقاربهما تلك الليلة مازال حياً في ذهنها.

«إن أبي يدفع لك أجراً لكي تكون حارسي الخاص، وإذا بك تسافر وتتركني في حراسة صديقين قديمين لك، ما الذي ذهبت لأجله، على كل حال؟»

ضاقت عيناه وبان الهزل في نظراته وهو يقول: «كنت اعمل في قضيتك، كما انك كنت بأمان تام هنا، يا آنا، وإلا لما تركتك.»

«آه، انك تعرف كل شيء، طبعاً، فأنت تعرف عن كل شيء كل ما تجب معرفته.»

«ألم يهتم بك بليك ونينا؟»

«طبعاً كانا يهتمان بي، فهذه ليست هي المسألة...» أرادت ان تضربه، لولا انها خافت من ان يؤثر تصادمهما الجسدي على ضبطها لنفسها...

أجابها بثقة: «إنني أثق في بليك تماماً، فقد كنا نعمل معاً ذات يوم.»

«نعم، هذا ما اخبرتني به نينا.» وحدقت فيه باكتئاب، فقد كانت نينا تحدثت عنه كثيراً أثناء الأيام الماضية، لقد منع آنا، في البداية، كبرياؤها من ان تظهر الاهتمام. ولكن الفضول الذي ما لبث ان تملكها، والنهم إلى معرفة المزيد عنه، قد تغلبا على كبريائها تلك.

«لقد اخبرتني نينا الكثير عنك.» اضافت ذلك بصوت معتدل.

«أرجو ان يكون ذلك في معرض المديح.» وكانت سخريته هادئة.

«هذا يعتمد على الطريقة التي ينظر المرء فيها إلى ذلك...»

إذا كانت بهذا القول تحاول سراً ان تحثه على إظهار شيء من المشاعر، فقد كانت تضيع وقتها سدى.

«نعم، اظن ذلك، وهكذا هل انت مستعدة للمجيء معي للغوص؟»

كان مظهر عدم الاهتمام الظاهر على جايد اكثر صدقاً من ان يكون مجرد ادعاء، ما جعل سخطها عليه يتفاقم.

سألته بقلق: «ألا يمكن لي أبداً ان اعرف نوع المهمة التي ذهبت بشأنها؟ وما إذا كنت عرفت ذلك الذي يريد اختطافي؟»

«لن يكون ذلك قبل ان أتأكد بشكل لا ريب فيه.»

ثم وقف واخذ يحدق إليها، كان يبدو وهو مشرف عليها، رهيباً ضخماً للغاية، ما وجدت نفسها معه مرغمة على الوقوف لكي تستمد شيئاً من الإتزان تواجه به الموقف، وعندما فعلت ذلك وجدت نفسها تنظر في عينيه الخضراوين الغامضتين، وكان في هذا القشة التي تعلقت بها.

«جايد... ايمكننا ان نتحدث؟» صدرت عنها هذه الكلمات متدافعة، تناقض بذلك عدم الاكتراث الذي كانت تحرص على اظهاره.

فقال: «نتحدث؟ ولكن هذا ما كنا نفعله كما اظن.»

«انك تعرف ما أعنيه...»

وشعرت بتوهج وجهها وهي ترى الهزل الهادىء في ملامحه.

«هل اعرف ذلك حقاً؟»

«بالنسبة لتلك الليلة على الشاطىء...»

«آه، تلك الليلة.» وضاقت عيناه. «كنت اظنك نسيت ما حدث؟»

«ولماذا انسى ذلك؟» تملكها الغضب وهي تشعر بتوهج وجهها. «ظننت ان الأمر بالعكس.»

قال: «ان هناك اشياء يحسن عدم ذكرها.»

فهمست وهي ترتجف: «هل هذا هو السبب في هربك مني؟ لقد استيقظت في ذلك الصباح شاعرة... شاعرة...» وجفّت الكلمات على شفتيها، كيف يمكنها ان تعترف بما كانت شعرت به ذلك الصباح عند استيقاظها من النوم لتواجه عدم اهتمامه القاسي ذاك؟

قد تكون كرامتها اعتادت على ان تتحطم على يدي جايد، ومع ذلك فإن الاعتراف بذلك الصفاء، والتألق السخيف الذي شعرت به ذلك الصباح سيحقّر نفسها إلى درجة غير مقبولة.

فقال لها بحذر: «أهو الندم؟» هذا بينما اخذت نظراته تجول فوق تقاطيع جسمها بفضول، فشعرت بتلك الرجفة المعتادة كلما نظر اليها.

فتنحنحت بشيء من التوتر وهي تقول: «ليس تماماً... لقد شعرت بانه... بأنه أصبح بيننا شيء يجب ان نتحدث عنه، وقد كان واضحاً عندما قفزت إلى طائرة مبكرة في ذلك الصباح، بأن شعورك اصبح مختلفاً...»

وهمّت بأن تتركه مندفعة، ولكنه قبض على ذراعها بقوة وهو يقول: «وما الذي كان ينبغي عليّ ان أقول؟ هل هو انني

اخترقت قوانين عملي؟ وانني سمحت لنفسي بالتعرض للإغواء؟ وأنني اخذت صفراً من عشرة في مهنتي، وضبطي لمشاعري وكل انواع التجرد التي تدربت عليها والتي هي من صميم مهنتي؟»

اخذت تحملق فيه، لم تكن تدري ما الذي كانت تتوقع منه ان يقول، ولكنه ليس هذا الكلام، ليس هذا الرفض المر... هذا الإنكار لأي مشاعر متعلقة بها.

تدفقت الكلمات إلى فمها ولكنها لم تستطع ان تنطق بها، لقد كان شعورها بالألم والمذلة أقوى مما تستطيع احتماله.

كان ما يزال يمسك بذراعها بشكل قاسي، فقالت له: «أترك ذراعي، يا جايد...»

«اتعلمين ما هو أسوأ الأمور؟ هو العبث باحلام الفتيات...»

لم تستطع ان تسمع منه اكثر من ذلك. جذبت ذراعها من يده بكبرياء وجمود، ثم تركته مبتعدة شبه راكضة، آملة ان لا يلحق بها... وان لا تنفجر بالبكاء قبل ان تصل إلى كوخها على الشاطىء وتتوجه إلى غرفتها...

ولكن جايد كان قد وصل اليها ليعود فيقبض على ذراعها مرة أخرى جاراً إياها على الشاطىء. ومنعتها مشاعرها الخانقة من الكلام، فأخذت تجاهد صامتة لتخلص ذراعها من قبضته، ولكنه كان أقوى منها، وعندما اصبحا في الداخل، واغلق الباب خلفهما، كانت هي قد تغلبت على دموعها التي حل محلها غضب جامح.

«إذا كنت تظن أن بإمكانك ان تستعمل معي القوة في دفعي هنا وهناك...»

«إنني آسف، يا آنا...» نطق بهذه الكلمات بصعوبة وقد بدا التوتر على ملامحه.

«انك آسف. حسناً، لقد صلحت الأمور إذن، أليس كذلك؟ ان هذا يعيد الأمور إلى نصابها مرة أخرى...»

اطلقها من قبضته، فمالت تستند إلى الباب تحدق إليه باكتئاب، لقد أثار اعتذاره ثائرتها، ولكنه في نفس الوقت خفف شيئاً من غضبها بنفس السرعة التي اشتعل بها، فهي الآن لا تشعر بسوى الخدر في جسمها مصحوباً بشيء شعرت به يموت في داخلها، ثم عادت تقول بلهجة غير متزنة: «انه على الأقل شعور مشترك بيننا، ذلك أنني انا أيضاً اشعر بالأسف.»

فقال بحرص وكأنه كان يكبح غضبه بعناية: «لقد كانت تلك الليلة غلطة، يا آنا، ولو كان بإمكاني اصلاح ما حدث، لفعلت...»

«الحق معك، فقد كانت تلك الليلة غلطة كبرى.» قالت ذلك بصوت مرتجف، وقد شعرت بغصة في حلقها وهي تتابع قائلة: «لقد كنت... كنت غاضبة منك لجرك لي إلى هنا، بعيداً عن المسرح، واظنني استفززتك بالإغواء كنوع سخيف من... من الانتقام.»

«نوع من الانتقام؟»

تبادلا نظرات صامتة عنيفة، ثم كررت قولها بصوت جامد ضعيف: «كان الحق معك تماماً في ان تتجنب الحديث عن ذلك. (كلما قل الكلام، صلحت الأمور)... هذا ما اعتادت أمي ان تقوله.»

«وأمي أيضاً.»

قال ذلك وهو جامد الملامح، وانقبض قلبها عندما تذكرت شيئاً كانت نينا قد اخبرتها به اثناء الأيام الماضية، ولكنها خنقت بحزم ما شعرت به من وخزة عنيفة، واعترفت بأن الأمر ميئوس منه، فهو ليس بحاجة إلى عطفها أو شفقتها، أو تألمها لمأساته القديمة. كما انه لا يرغب في حبها المضلل أيضاً، ذلك ان جايد ستيل كان رجلاً مهووساً... هاجسه الوحيد هو عمله.

وتلك الليلة كانت مثالاً على ذلك، فقد كان واضحاً انه لم يشعر بحاجة أو رغبة للحديث عنها. ذلك ان ليس لديه نفس العواطف الشاعرية التي لديها، وجاء إدراكها المر لهذا أشبه بصفعة على وجهها، ولكنها اعادتها إلى عقلها بشكل عنيف.

ساد صمت طويل سمرت أثناءه عينيها على زخارف البلاط الإيطالي الذي يبلط الأرض، متمنية لو انه يذهب بعيداً عنها.

وأخيراً قال بتهكم جاف شتت مشاعرها: «اسمعي... هل مكتوب علينا ان نتشاجر على الدوام؟ اتتذكرين كيف كنا ذهبنا للتفرج على انحاء مدينة ستراتفورد؟ لقد كان ذلك هو الوقت الوحيد الذي أمضيناه من دون تبادل الشتائم...»

هزت كتفيها محاولة ان تبتسم بتهكم كيلا يقال عنها انها كانت بطيئة الفهم.

فتلك الليلة على الشاطىء مهما كانت اهميتها بالنسبة اليها، لم تكن موضع مناقشة، فهي تفضل الموت على ان تظهر له كم كانت تتألم في داخلها... فأخذت تقول بحذر: «لقد تغيرت الأمور منذ ذلك الحين...»

«اما زلت تريدينني ان أحميك؟»

فحدقت إليه مكتئبة: «نعم...»

«إذن ما هي أهمية أي شيء آخر؟»

«لا شيء.» وجذبت نفساً عميقاً. «... لا شيء على الاطلاق. هل كنت تحدثت عن الغطس؟» سألته ذلك بنبرة مصطنعة من الحماسة المتألقة. «انها فكرة رائعة.»

فأمسك بيدها يدفعها نحو الحمام قائلاً: «ادخلي وخذي دوش، اننا سننسى مسألة الغطس هذه الآن ونذهب لتفحص مظاهر الجزيرة الحضارية، قد لا تفتخر هذه الجزيرة بانها مسقط رأس شكسبير، ولكنها تفتخر بان الأميرال نلسون كان يعيش فيها، وذلك منذ مائتي سنة، فقد كان جاء إلى هنا بصفته (قائد حرس الجزر).»

«أحقاً؟» كان تهكمها ضعيفاً، ولكنه كان كل ما بإمكانها القيام به.

«وإذا لم يكن هذا كافياً لك، يمكننا ان نستقل طائرة لمدة عشرين دقيقة يمكننا فيها ان نزور متحف نلسون، ونرى المنزل الذي احضرته معها زوجته فاني نيسبت.» كان يقول ذلك وعيناه تلمعان.

قالت ببرودة وهي تلجأ إلى الحمام: «يا لك من كتاب سياحي يمشي على قدمين.»

كان اقتراحه للتفرج على كل ذلك، مغرياً، ولكنها غير مستعدة ان تكشف له عن شعورها، عن أي من شعورها مرة أخرى...

نادته من الحمام: «ألا يمكنني ان اذهب لزيارة تلك المعالم من دون وجودك معي؟ ليس عليك ان تكون حارسي

الخاص في كل ثانية من النهار أثناء وجودنا هنا، لقد كنت قلت هذا بنفسك، وهو السبب الذي جعلك تشعر ان بإمكانك السفر إلى ميامي.»

«لقد تركت مكاني بليك، حينذاك، اتذكرين؟ والآن بعد ان عدت، عليك ان تبقي معي، وسأراك بعد ربع ساعة.»

خرجت من تحت الدوش وهي تغمض عينيها بعنف ومرارة، محاولة ان تتصنع ابتسامة ساخرة كي تقابله بها...

• • •

استقلا سيارة بليك الجيب، وقد جعلت من شعرها ضفيرة طويلة ارختها على ظهرها، شاعرة بالبرودة والانتعاش بثوبها الكتاني القصير الأسود، محاولة جهدها امتاع نفسها، وكان جايد في منتهى الرقة والذوق والظرف. كان بإمكانه ان يكون رفيقاً مثالياً عندما يشاء. ولكن كان من الصعب عليها ان تشعر بالراحة النفسية بينما هي تعلم ان ما يحفزه إلى مرافقتها ليس إلا واجبات مهنته وليس الرغبة في مرافقتها.

قال بشكل عفوي وهما يسيران نحو المطعم ليتناولا الغداء بعد جولة قاما بها في الجزيرة: «لم تخبريني قط كيف استطعت تحقيق طموحاتك، وكيف التحقت بفرقة شكسبير الملكية.»

فقالت معترفة بفتور: «مجرد حظ.»

واخذت تجول بنظراتها بما يحيط بهما بعجب، كانا قد اوقفا السيارة بمعزل في ظلال اشجار جوز الهند، ثم اخذا

يتمشيان خلال أماكن رائعة حبست منها الأنفاس، وكان المطعم يقوم على ضفاف بحيرة طبيعية، محاطاً بنباتات غريبة، بينما طيور مالك الحزين البيضاء تطير امامها ملامسة سطح المياه، تخفق اجنحتها في المياه الدائمة الزرقة. فكانت من الافتتان بهذا المنظر ما جعلها تنسى ما سلف من حديث بينهما.

أجاب: «لا يمكنك ان تسميه مجرد حظ، اظن هنالك شيئاً من الموهبة.»

وكان نادل يقودهما إلى مائدة قريبة من الماء، ثم يناولهما قائمة بالطعام مغلفة بالجلد. وكان يسود جو قاعة الطعام جو ممتع من الحديث والضحك مزيج بموسيقى ناعمة.

تلاقت اعينهما عبر المائدة ذات الغطاء الأبيض، وهي تقول: «من المؤكد ان التنقل من العمل في تمثيليات في الراديو، وإلى التمثيل في فرقة شكسبير الملكية، من المؤكد ان هذا يحتاج إلى مقدار كبير من الحظ. لقد تلقيت ذات يوم مخابرة هاتفية من وكيل اعمالي، وبعد ثلاثة ايام وثلاث مقابلات مع رؤساء اعمال في باربيكان، تلقيت دعوة للإلتحاق بالفرقة. ولكن لماذا تسأل اسئلة شخصية؟ اياك والإدعاء بأنك مهتم بحياتي بشكل خاص.»

فاطلق ضحكة جافة وهو يقول: «لو انهم قاموا بتمثيل مسرحية شكسبير المسماة (ترويض المرأة الشرسة) لقمت انت بدور البطلة بكل نجاح.»

فابتسمت بعذوبة، رافضة الاستجابة إلى اغاظته هذه

لها وقالت بسخرية: «شكراً، اعتقد بأنك قد سبق وذكرت هذا الأمر من قبل. ومع كل هذا الحديث عن ماضي حياتي...»

«ماذا تريدين ان تأكلي؟» قاطعها بهذا السؤال بينما كان النادل يشق طريقه بين الموائد قادماً نحوهما.

فقالت له: «أريد سمكاً وشماماً، من فضلك.» واخذت تنظر اليه وهو يأمر النادل بذلك، مضيفاً طلب بعض المياه المعدنية.

كان قد غير ملابسه إلى بنطلون كاكي وقميص حريري اسود فضفاض فبدا بذلك جذاباً للغاية، وكذلك منطوياً على نفسه.

وعندما ابتعد النادل نظر جايد اليها بصبر فارغ: «ماذا كنت تقولين؟»

أجابت وقد كادت اعصابها تثور، فهي إذا لم تفرغ ما في صدرها الآن، فلن تستطيع ذلك ابداً فيما بعد، اجابت تقول: «كنت اقول إن... ان كل هذا الاهتمام بماضي حياتي لا بد يعني ان عليّ ان اظهر بعض الاهتمام بماضيك، أنا أيضاً.»

فساد صمت قصير قال بعده: «افعلي.» لم يكن بريق عينيه يعبر عن تهكم كليّ، كما رأت، فقد كان يعني من التحدي اكثر مما يعنيه من الدعوة.

فقالت مترددة: «لقد اخبرتني نينا...»

«بماذا اخبرتك نينا؟»

«بتاريخ حياتك. بأن والدك كان اميركياً استاذاً في الجامعة، والدتك ابنة عالم نفس انكليزي، وانك عشت في

كاليفورنيا إلى ان مات والدك في حادث سيارة، ثم انتقلت عائداً إلى لندن...»

ثم سكتت وهي ترى نظرة عينيه مركزة في عينيها. «أهذا كل شيء؟»

أجابت بضحكة قصيرة: «كلا، فقد حصلت على درجة لامعة من جامعة كامبريدج في الثقافات الكلاسيكية، ثم زاولت نوعاً من العمل الحكومي السري قبل ان تنتهي باتخاذ عملك الحالي...»

سألها باستخفاف: «يبدو وكأن نينا تعلم كل شيء، أهناك شيء آخر؟»

فأومأت وهي تجنب نفساً مرتجفاً: «وعندما... عندما كنت في الخامسة عشرة ذهبت مع والدتك إلى نورث كورنوال لقضاء عطلة الخريف، فأوشكت على الموت في محاولة لإنقاذها عندما جرفتها موجة عارمة من فوق الصخور، فغرقت...»

ساد صمت قصير متوتر، وشعرت بغصة مفاجئة في حلقها، فقد شعرت بالذعر الآن بعد ان استجمعت شجاعتها لتقول هذا.

أخيراً قال: «يبدو انكما انت ونينا قد امضيتما اسبوعاً ممتعاً.»

ملأ جايد كوبيهما مياهاً معدنية، ثم اخذ يفحص السائل الصافي في كوبه وقد سادت ملامحه مشاعر عنيفة لم تكن تتصل بها هي.

فقالت: «لقد اخبرتني فقط عن والدتك لأنني...» وغاص قلبها بين ضلوعها وهي تراه يدير اليها نظرات باردة غامضة. «لأنني طلبت منها ذلك.»

كان عليها ان تسأل نينا عن التفاصيل، ولكن نينا أدركت ما تشعر به آنا. فقد رأت ذلك في عينيها، في أول صباح لها هنا، وقبل ان تكتشف آنا ان جايد قد رحل إلى ميامي دون ان يخبرها، فقد كانت علمت وقد تملكها عرفان الجميل، ان نينا كانت إلى جانبها.

«انت طلبت منها ذلك؟ والآن لماذا فعلت هذا؟» وكان صوته وهو يقول ذلك، بالغ الجمود.

«بسبب تلك...»

«بسبب تلك الليلة التي كنا امضيناها معاً على الشاطىء؟» قال ذلك بسخرية رقيقة.

فاحمر وجهها وهزت رأسها بغضب: «ليس لأننا... تبادلنا العواطف.» اجابته بذلك بصوت متوتر خافت وتابعت: «فأنا لست من السذاجة بحيث اظن بأنك تدين لي بقصة حياتك لأجل هذا.»

«بماذا أدين لك إذن، يا آنا؟»

لم تستطع ان تسبر غوره مطلقاً، كانت كمن يتبادل حديثاً حميماً مع حائط.

اجابته بصراحة: «انه بسبب ما كنت قلته لي... عن خذلانك لأمك، شعرت بأنني اريد محاولة ان افهم ما جرى. فأخبرتني نينا بذلك.»

«وها انت ذي الآن قد فهمت تماماً.» كانت سخريته وهو يتكلم ساحقة.

فجف حلقها ورفعت كوبها تأخذ رشفة منه وهي تقول مرتجفة: «كلا، كلا. لم افهم، لم افهم السبب في انك وضعت اللوم على نفسك. فقد كان هناك شهود رأوا كل شيء، رأوك

على صخرة أعلى عندما اكتسحت الأمواج والدتك، رأوك تلقي بنفسك بثيابك الكاملة إلى البحر الهائج الخطر، لقد كان حادثاً مأساوياً، ولكن ليس من المعقول ان تلوم نفسك لأنك لم تستطع انقاذها.»

فقال بجفاء: «ليس كل شيء له تفسير معقول، وقد كففت عن لوم نفسي لأجل موت أمي وذلك منذ سنوات مضت، فدعينا إذن نتناول طعامنا ونتحدث في موضوع آخر، أليس ذلك أفضل؟»

مضت فترة تناولا أثناءها الطعام بصمت، كان الشمام لذيذاً للغاية، وكذلك السمك، بصلصته المليئة بالبهارات. اخذت آنا ترشف قهوتها وهي تحاول عبثاً، اقناع نفسها بأن هذا الصمت كان ودياً، لقد كانت متلهفة إلى التخفيف عنه بالنسبة إلى مأساة والدته. ولكنه كان من الإنطواء على نفسه بحيث انها لم تستطع الوصول إلى اعماقه، كما انها لن تستطيع ذلك أبداً.

أخيراً، استطاعت ان تقول: «اظنك اقترحت هدنة دون قتال؟»

كانت عيناها البنيتان جامدتين وهي ترفع وجهها اليه، فأطلق ضحكة قصيرة جافة وهو يجيب: «نعم، هذا صحيح، ولكن إذا كان هناك شخصان مقدراً عليهما القتال، فهما أنا وأنت.»

«هذا فقط لأنك انطوائي لا تكشف حتى عن جزء ضئيل من حقيقتك.»

لم يعبأ بالرد عليها، واخذ يحدق اليها بعينيه الخضراوين عبر المائدة بشكل جعلها تتوتر وتشعر

بالإستياء، كان تباعده البليد اكثر من مجرد باعث على الغيظ... كان مهيناً، جارحاً للكرامة.

جابهته قائلة بصوت خشن تخفي بذلك مشاعرها الغاضبة: «وإلى جانب ذلك، القتال هو طريقة لقطع الوقت، أليس كذلك؟ طريقة ينتعش بها هذا الشعور بأنني مقيدة في النعيم.»

بدا شيء من الخشونة في ملامح جايد، ولكن عينيه بقيتا ثابتتين وهو يقول بسخرية جافة: «اتشعرين بانك مقيدة؟ انك على الأقل غير مكممة الفم معصوبة العينين وملقاة في قبو رطب، تتساءلين عما إذا كنت سترين الشمس مرة أخرى.»

فحدقت اليه بذهول صامت ما لبث بعده ان أشار إلى النادل بإحضار قائمة الحساب ثم نهض فجأة وهو يقول: «فلنذهب.» كانت النبرة المتوترة في صوته مقلقة. فتبعته بضيق خارجين من انوار المطعم المتألقة، نحو ظلال الأشجار.

كانت ادركت ان الليل الكاريبي السريع قد هبط، وذلك اثناء حديثهما وتناولهما الطعام.

كانت تريد ان تتمتع بمنظر غروب الشمس فوق البحيرة، كما كان جايد قد اقترح ولكنه فاتها اثناء محاولتها محاربة تلك النظرات الساخرة التي شوشت منها الذهن وعقدت اللسان...

قالت بصوت متوتر شاعرة بغصة: «انني آسفة، لا أدري لماذا قلت ذلك.»

«أنا أدري.»

عادت تحدّق إليه بمزيج من الاستياء والخزي.

«اتدري حقاً؟»

«انه استفزاز، تلك هي طريقتك المثالية في قتل الوقت، أليس كذلك؟ فترين ردة الفعل عند الآخرين، لا تجربي ذلك مرة أخرى، يا آنا، لأنه لن ينجح معك هذه المرة.»

قال ذلك بصوت ناعم ولكنه قاسي كالفولاذ.

فهزت رأسها بسرعة وقد تملكها الغضب: «انك مخطىء، انت تظن انك تعرف الكثير عني، ولكنك مخطىء.»

نظر في عينيها قائلاً: «هل أنا كذلك؟ انني اعلم كم انت ممثلة ماهرة، لقد رأيتك في مسرحياتك الثلاث في ستراتفورد.» قال ذلك بقسوة.

فقالت تتحداه بصوت غير ثابت: «هل تظنني امثل على الدوام؟ هل تظن ان كل ما اقوم به هو تمثيل؟ اتظنني سطحية إلى هذا الحد؟ ربما... ربما كنت ظننتني امثل عندما تبادلنا العواطف تلك الليلة، وان مشاعري لم تكن سوى ادعاء؟»

وعندما التفت لينظر اليها، كان وجهها يلتهب ولكن بدا وكأن عتابها هذا قد اغضبه. كانا قد وصلا إلى سيارة الجيب، فوقف واستدار اليها قائلاً بصوت خشن: «انك لا تكفّين أبداً، أليس كذلك؟» رأته غاضباً، غاضباً تماماً... لماذا؟ هل لأنها تجرأت على ان تعترف له عن قصة نينا التي تستدعي العطف على ماضيه المفجع؟ ام لأنه احتقرها لما قالته عن كونها مقيدة في النعيم؟ ام ان ذلك بسبب ما قالته لتوها؟

فقالت بصوت غير ثابت: «أكف عن ماذا؟ هل عن محاولة ربط الأمور ببعضها البعض؟»

«بل عن محاولة تعداد الأخطاء، والإصرار على ما تريدين، ولفت الانتباه...»

«هذا ليس صحيحاً، يا جايد...»

فلم يجب وهو يقودها إلى السيارة، ثم يعود بها إلى الفندق وقد ران عليهما صمت متوتر، والسيارة تصعد وتهبط فوق الطرق غير الممهدة، وتدور حول المنعطفات لتتوقف بهما اخيراً امام مدخل الفندق.

عندما توقفا التفت ينظر إليها، لم يكن لديها فكرة عما كان عليه مظهرها الأشعث من هواء الطريق بعد خروجهما من المطعم، ولكن جايد كان يبدو ساحق الجاذبية. وتملكتها الدهشة وهي ترى ابتسامة تضيء وجهه الأسمر، فشعرت لجزء من الثانية، وكأن هناك اتصال حقيقي قد اتخذ مكانه بينهما، سواء كان رغبة أم شيئاً أعمق، لقد اصبح الرباط الذي بينهما، فجأة من القوة حتى ليكاد يكون حقيقياً، وامتلأ قلبها ببهجة بددت ما كان يتملكه من تعاسة.

ابتدأت تقول بصوت أجش: «جايد...» ثم سكتت، لا بد ان بليك كان في انتظارهما لأنه ظهر من مدخل الفندق هابطاً الدرجات مندفعاً بين اشجار النخيل وتحت عرائش الأزهار الأرجوانية المتسلقة إلى ان وصل إلى باب جايد ففتحه، وكان على وجهه عبوس مروع جعل كلمات آنا تموت على شفتيها، بينما اخذ يقول بصوت منخفض: «لدي خبر سيء، آسف يا آنا، ان والدك...»

فانفجرت تقول: «كلا، انه لم يخطف.» وبدت عليها الهستيريا لما خطر في ذهنها. ورأت يدي جايد تقبضان بعنف على عجلة القيادة، وخلال الذعر الذي تملكها، لاحظت انه اهتم بالأمر... وهذا يعني ان لديه مشاعر...

«كلا، ليس هذا.» كانت عينا بليك الزرقاوان بالغتي الرقة ووجهه الذي لوحته الشمس مكسواً بالاهتمام. «ولكنه في المستشفى واخشى انه اصيب بنوبة قلبية...»

الفصل الثامن

«أبي... هل انت مستيقظ؟ ايمكنك ان تسمعني؟»

كانت آنا تمسك بيدي والديها القويتين وهي تنحني فوق سريره في غرفته في المستشفى الخاص، وكان صوتها مختنقاً بالدموع وهي تتساءل عما إذا كان سيعرفها، ولهذا قالت: «إنه أنا، آنا يا أبي.»

أجابها والدها بصوت منخفض: «نعم يا حبيبتي، انني اعرف تماماً صوت إبنتي.»

وتملك آنا الدهشة والسرور وهي ترى والدها يستعيد لمحة من روح النكتة لديه، وهو يفتح عينيه ببطء متابعاً: «وبمجرد سماعي له شعرت بتحسن.»

فقالت عاتبة بصوت أبح: «لقد سببت لي خوفاً مريعاً.» واخذت تمر بيدها على يديه وهي تبتسم له بين دموعها. وتابعت كلامها بحزن: «قالت الممرضات انك تحسنت كثيراً، ولكن رؤيتي لك راقداً هنا وحولك كل هذه... المعدات والأجهزة الغريبة... ظننت...» وابتلعت ريقها ثم تمالكت نفسها وهي تقول بحدة: «إياك ان تجرؤ وتعملها مرة أخرى.»

«اعمل ماذا؟ استغرق في النوم؟ المفروض انني في طور النقاهة الآن، يا حبيبتي، فالنوم مفيد لي. لقد اصبحت بشرتك سمراء جميلة.»

واخذ ويليام فرينتش الذي كان يبدو على شيء من الشحوب والإرهاق، اخذ ينظر إلى ابنته متفحصاً مظهرها،

ناظراً إلى حذائيها الطويلين وبنطلونها الزيتي وكنزتها السوداء الفضفاضة، وقد بدا الهزل في عينيه: «انك دوماً تلك البوهيمية الصغيرة، ولكنك متألقة على الأقل، ان جايد يرعاك بشكل حسن، كما أرى...»

فقالت غير قادرة على ان تتجنب نبرة توتر بدت في صوتها: «انك تعني انه يرصد كل حركة مني ما يجعل اعصابي متوترة إلى حد لا استطيع معه النوم ليلاً...»

فقال والدها بثقة تامة: «سرعان ما سيقبض على المتسبب بذلك. انني اعلم ان شركته قانونية...» وجاهد قليلاً ليلتقط انفاسه فأمسكت آنا بيديه بلهفة بينما تابع هو: «انه يأخذ مفاتيح الألغاز من تلك الرسائل. انه سيحل المشكلة، وعندذلك تصبحين حرة... في ان تعودي إلى النوم مرة أخرى.»

كان الإزدواج في المعنى، والنظرة ذات المعنى في عيني والدها ما جعلها تتوهج خجلاً.

«أبي...»

«لا تلعبي دوراً معي، يا فتاتي.» قال ذلك ضاحكاً برقة، ثم اخذ نفسه يضيق ما جعل ممرضة تندفع إلى الغرفة، بينما اخذ يتابع قائلاً: «لا تتظاهري بأن ليس ثمة شيء بينك وبين جايد ستيل، فانا لم أولد أمس، وأنت بإمكانك ان تقطعي الهواء بسكين عندما تكونان معاً...»

فقالت: «ان الكراهية المشتركة يمكن ان تسبب جواً كهذا.»

بعد الاطمئنان على صحة والدها انحنت تودعه بقبلة على رأسه تخفي بذلك التعاسة التي بدت في عينيها، ومتجنبة نظرات الممرضة الفضولية.

«سأزورك مرة أخرى في الصباح، اتمنى لك الشفاء بسرعة...»

«ثقي بذلك، يا عزيزتي.»

كان جايد ينتظر خارج الباب، مستنداً إلى الجدار، وقد اختفت ملامحه وراء قناع من الجمود، كان بأناقته البالغة مجلباً للنظر، وكانت مشاعرها نحوه مازالت عميقة، ولكنها أبقت نظرات عينيها دون تعبير وهي تقابل نظراته المستفسرة.

قالت بحذر: «اظنه سيصبح على ما يرام، ولكن هذا كان اسوأ يوم في حياتي.»

«انه رجل قوي، وفتيّ جداً بالنسبة إلى سنه.» قال جايد ذلك بهدوء وهما يصعدان إلى السيارة ليعودا إلى منزلها تابع كلامه: «ولكن التوتر العصبي بإمكانه ان يسبب الكثير من الأذى، فقد كان قلقاً جداً بسبب هذا التهديد بالخطف...»

ألقت نظرة على جايد وهما يقفان امام المنزل، لم تكن صادقة تماماً مع والدها، وشعرت بالذنب لذلك حيث أشارت إلى ان جايد كان يضغط على اعصابها بشكل جدي، مدعية بأنها متلهفة إلى التخلص من هذا الحارس الخاص...

لو كانت صادقة لاعترفت له بأن وجودها مع جايد قد ابتدأ يصبح طبيعياً كالتنفس، حتى ولو جعل هو مسافة مهينة بينهما، حتى ولو اخفى مشاعره وراء واجبات مهنته، حتى ولو ابدى انتقاداته لسلوكها، حتى ولو احتقرها لتلك الليلة على شاطيء بحر انتيغوا...

لقد كان حامياً ومسانداً منذ تلقت ذلك الخبر عن والدها، ربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تعتمد على وجوده

عندما تملكها الحزن والهلع، فقد قام بترتيبات فائقة السرعة، إذ حجز مكانين لهما على أول طائرة نحو الوطن عن طريق ميامي، واتصل بالمستشفى، ثم طمأنها بأن والدها يتحسن...

إذا كانت قد فتنت به منذ أربع سنوات، فعليها الآن ان تعترف بالحقيقة المرة، فقد اصبحت غارقة في حبه إلى حد ميئوس منه، وتعذيب الذات هو شيء لا يكاد يصدق ولكنه حقيقي.

في اللحظات النادرة التي كانا يرتاحان فيها معاً، عندما كانا يتحدثان كالأنداد، كالأصدقاء مثل هذه الجلسات قد أثبتت لها ان ثمة أشياء مشتركة بينهما، أثبتت ان نينا بقصصها تلك عنه، كان معها حق. فخلف مظهره الخشن، كان جايد رجلاً عظيماً، ولكن ذلك كان فقط مع الناس الذين يحترمهم. وكان واضحاً، كما رأت آنا وهي تتألم، انه كلما زادت معرفته بها كلما قل اعجابه بها، وكان شعورها بكل هذا الحب نحو رجل لا يشعر نحوها بسوى السخرية والإزدراء، كان هذا شيئاً لا يصدق...

كان هذا يشعرها بالخزي من نفسها وانجذابها نحو جايد بهذه القوة يفزعها.

كانت صدمة معرفتهما بما حدث لوالدها، قد محت بكل سرعة، شعورها هذا نحوه. ومنذ ذلك الحين عاد جايد إلى طبيعته الانعزالية، لم يبد عليه انه يفكر في أمره معها، لم يكن ثمة شك في انه كان يلومها لاستفزازها له مرة أخرى، ما جعل المسافة بينهما تتسع، لم تكن تصدق ان ما كان حدث بينهما من تبادل للمشاعر، تلك الليلة على الشاطىء، قد حدث حقاً... ام لعله كان حلماً؟

أتراها اصبحت تلك الساذجة المحبطة إلى حد اخذت معه تتصور كل هذه الأحداث؟ قالت فجأة وهي تنظر إلى جايد! «إنني شاكرة كل عونك لي، وإذا كنت لم أقل هذا من قبل، فانا آسفة، ولكنني شاكرة جداً.»

فقال وقد بدا الغموض في عينيه: «كفى شكراً واعتذاراً، فهذا جزء من عملي، فانا آخذ أجراً على كل هذا. لا تنسي.»

تنهدت وقد تملكها احباط غاضب: «آه، يا جايد، ألا يمكنك أبداً الكف عن الاختباء خلف مهنتك تلك؟»

سألها بسرعة: «اتريدين ان يدوم تهديدك بالخطف ذاك إلى ما لا نهاية؟»

«كلا، طبعاً، ولكن...»

«اظنني اعرف من يقوم بذلك.»

كانا قد وصلا إلى الباب الأمامي، فوقفت جامدة عند المدخل وقد جعلها تصريحه الهادىء هذا تفغر فمها ذهولاً.

«تعرف؟ منذ متى؟»

«قمت ببعض الأبحاث عندما كنت في ميامي، الشخص الذي كان يجب ان يوضع بأمان في مكان مقفل، لم يعد في مكان مقفل.»

«من تعني؟» وشعرت بالخزي وهي تجد ان فمها قد جف، كما أخذ قلبها يخفق متوتراً.

«زميل سابق لوالدك، وهو عالم.»

ولكي تخفي ذعراً غامضاً تملكها، سألته بغضب وارتباك: «ولماذا يريد ان يؤذيني؟»

«لنفس السبب الذي جعله يريد ان يؤذي والدك منذ أربع سنوات، كما اظن.»

«وما هو السبب؟»

أجابها: «ان الرجل مخبول، فقد ظن ان أباك قد سرق احد افكاره.»

سألته بخوف: «لماذا إذن لم تقبض على الرجل هذا، ثم تتركني بسلام؟»

أجاب موضحاً ببرود: «لأنني بحاجة إلى دليل إثبات قوي، فالقفز إلى النتائج هو أسرع الطرق إلى الإفلاس أو السجن في مهنتي هذه.»

فانفجرت تقول: «آه، هذا عظيم.» ثم سارت نحو السلم وقد هجرها المنطق والصواب. «إذن فأنت ستبقى حولي في كل مكان إلى ان تقتنع بأن ظهرك آمن، وحسابك في المصرف لن يعاني من التراجع.»

كان قد لحق بها إلى غرفتها، فقالت له: «والآن، هل تريد مني شيئاً؟ أريد ان اغير ملابسي وأدخل الحمام.»

«أريدك أنت، يا آنا، ألم تعرفي هذا بعد؟»

فنظرت اليه غير مصدقة وقد تملكها الغضب والذهول: «تريدني؟ ما هي مشكلتك، يا جايد؟ يوماً أراك تهتم بي، ويوماً لا تستطيع ان تتحمل وجودي؟»

«مشكلتي هي انك الطريق إلى الهلاك، يا آنا، ان رغبتي فيك تزداد في كل لحظة أمضيها في صحبتك، أريدك إلى حد لا استطيع معه النوم في الليالي...»

فقالت وقلبها يخفق بعنف حتى كانت تسمعه: «ولكن ليس من المفروض في الحراس الخصوصيين، ان يناموا أو يرتاحوا، أليس كذلك؟»

«كل انسان بحاجة إلى النوم...»

كان النظر في عينيه يذيب قلبها، ولكن الكلمات التي كانا يتفوهان بها كانت لا معنى لها، فالتقارب الحقيقي كان يحدث في هذا الصمت المقلق الذي ساد بينهما.

وأخيراً قال: «اذا كنت تظنين انني نسيت تلك الليلة على الشاطىء، فأنت مخطئة.»

من مسافة بعيدة للغاية سمعت آنا صوت جرس الهاتف يتعالى من قسم آخر من المنزل، ثم سكت ليتعالى بعده صوت إيلين يناديها من أسفل السلم، وبيطء وقفت آنا وهي تترنح.

فقال لها: «الأفضل ان تستحمي وتغيري ملابسك، بينما انزل انا واخبر إيلين بانك ستجيبين على المكالمة الهاتفية فيما بعد...»

«نعم، نعم، اخرج الآن...»

«انني ذاهب، ولكن هل انت غاضبة مني؟»

«غاضبة من كل شيء.»

اخذت تنظر اليه وهو يخرج وقد غامت عيناها بالدموع... هل يحبها حقاً؟

• • •

«كان المتحدث احد مديري المسرح.» قالت ذلك لجايد فيما بعد مجيبة على تساؤله الصامت.

كانت قد استحمت وغيرت ملابسها ثم نزلت تجيب على الهاتف، قبل ان توافيه إلى مائدة العشاء في غرفة الطعام المصنوعة من خشب السنديان، حيث كانا يتناولان العشاء وحدهما.

كانت الغرفة فسيحة ولكن بحيرة الضوء على طرف المائدة حيث كانا يجلسان، كانت تضفي على المكان جواً حميماً رائعاً، ولم تستطع آنا ان تتجنب التفكير في تلك الليلة منذ أربع سنوات، حين اندفعت داخلة إلى هنا، بثوبها القصير وقد املأت نفسها بالعطور، متلهفة إلى التأثير على هذا الغريب الرائع الذي كانت التقته قبل ذلك في الحديقة...

«هل ستخبرينني بما يريده منك؟»

عاد يسألها بجفاء بينما كانت هي تتناول الملعقة لتتذوق الحساء.

«لقد كسرت لانا ستيوارت ثلاثة ضلوع في حادث سيارة، وهم يريدونني ان آخذ مكانها بصفتي بديلتها...»

ضاقت عينا جايد عبر المائدة، كانت إيلين قد اجتهدت في اعداد هذه الوجبة اللذيذة لعشائهما، وقد كانت اعلنت بكل فخر، بأن عليهما ان يستمتعا بهذا الحساء الدسم ولحم الخروف المشوي مع صلصة النعناع والبطاطا الغضة، ويتلو ذلك فطيرة التفاح تعلوها القشدة، ولكن التوتر الذي ساد الجو جفف حلق آنا، جاعلاً طعم الحساء أشبه بالماء...

سألها: «متى عليك أن تذهبي؟»

«غداً. عليّ ان اعود غداً إلى المسرح...» قالت ذلك بشيء من عدم التأكد، ولكن ليس بسبب التهديد بالخطف... وإنما بسبب والدها، وتابعت تقول: «سأسأل... سأسأل المستشفى أولاً، وأرى أبي، ولكن هذه فرصة لم اكن أجروء على ان احلم بها... وطالما حالة أبي في تحسن، فإن عليّ ان اذهب...»

«انني أوافقك على هذا.»

ففتحت فمها ذاهلة وهي تسمع موافقته الهادئة هذه.

«أحقاً؟»

«بكل تأكيد، ولماذا لا؟» لوى شفتيه، وهو يتابع قائلاً: «انها فرصة ذهبية لك.» وضعت الملعقة من يدها، كانت تتوقع، نوعاً ما، مثل تهكمه الهادىء هذا، ولكنه مع ذلك جرحها.

حدقت اليه في ضوء المصباح المعلق فوق رأسيهما، كان قد غير بنطلونه إلى آخر أسود اللون، ولكنه كان ما يزال يرتدي كنزته السوداء عالية الياقة، ما بدا معه خشناً ضخماً مسيطراً، ساخراً... وكل ما كانت تتوقع منه... ومع ذلك...

قالت بسرعة وهي تمسك كوب الماء بأصابع مرتجفة: «ليس عليك ان تأتي معي، إذا كنت مقتنعاً تماماً بأنك تعرف صاحب تلك الرسائل الحمقاء، وهكذا ينتهي الأمر، أليس كذلك؟»

«كلا، ليس تماماً.»

«جايد، انا بحاجة إلى الابتعاد.»

انفجرت قائلة ذلك، ثم رفعت فنجان القهوة ترشف منه لتعيده إلى المائدة بعنف وهي تخاطب نفسها بصمت... نعم، أنا بحاجة إلى الابتعاد عنك... وعن تأثيرك عليّ.

أخيراً قالت بتوتر: «انني اشعر بالإختناق... لا يمكنني احتمال هذا بعد الآن...»

فقال ببرودة وقد بدت الكآبة في نظراته: «ان هذا لن يستمر طويلاً، يا آنا... ولكن الخطر ما زال قائماً.»

فردت بحدة تقارب التمرد: «حسناً، هل عليّ ان اعود إلى معاناة الهزء والسخرية من بقية الممثلين من جديد، فقط

لكي تتمكن أنت من تحصيل الأجر كاملاً ببقائك مع أبي؟»

بدت لمحة من الغضب في عيني جايد ونظراته تشتبك بنظراتها الملتهبة عبر المائدة، ثم انحدرت نظراته تلك تتفحصان تقاطيع جسمها وثوبها الحريري الزمردي الذي كانت ارتدته للعشاء هذه الليلة يدفعها إلى ذلك حاجتها إلى استعادة ثقتها المنهارة بنفسها، كما اهتمت بشعرها اكثر من المعتاد، فجعلته ضفيرة أنيقة على الطراز الفرنسي، وبالنسبة إلى زينة وجهها، وضعت حول عينيها ظلالاً عسلية. كما علقت في أذنيها قرطين ذهبيين طويلين متناسبين مع قلادة ذهبية حول عنقها، كانت قد توخت الإغواء وهي ترتدي ملابسها، وذلك دون وعي منها...

إنما الآن اخذت ترطب شفتيها بتوتر، لقد جعلها تتوتر وهو يسدد اليها نظراته الغامضة هذه، والتي تجعلها على شفا الانهيار حتى لتكاد تنشق إلى نصفين...

لماذا تصيبها هذه الحالة؟ ولكنها مالبثت ان اعترفت لنفسها بمرارة بأنها تعرف السبب. إنه شعورها بالمذلة والهوان والضعف أمامه إذ تعرض نفسها عليه دون ان تجد منه تجاوباً، وإذا حدث ذلك فهي تكون مجرد رغبة كغيره من الرجال لا تتضمن أي مشاعر أو عاطفة. انه لا يهتم بها، حتى انه لا يكن لها أي اعجاب أو مودة كافية.

انها مجنونة، وهو الذي يقودها إلى الجنون...

قال: طقد خاب أملي، يا آنا، فقد كنت ظننت انك قد نضجت، وتركت زهوك الطفولي هذا، ولكن الشخص الوحيد الذي يهمك، مازال الآنسة اناستازيا فرينتش النجمة الصاعدة.»

فهزت كتفيها وقد استقام جسمها، لقد بدت أمامه، بقولها ذاك، بدت فعلاً طفلة مدللة، كانت تعلم ذلك، ولكنها لم تعد تذكر ما كانت قالته...

قالت وهي تحاول جاهدة ضبط اعصابها: «ان الطريقة التي تراني فيها هي رأيك الخاص، فانت ترى ما تريد أن تراه، مؤسساً على عقيدتك الملتوية، ولكن هذه هي مشكلتك انت وليست مشكلتي، ألديك مانع في ان نركز اهتمامنا على تناول الطعام الذي اعدته إيلين؟ ذلك ان كرامتها ستجرح إذا انا لم آكل كل ما امامي، وأنا احب إيلين كثيراً...»

قالت ذلك بابتسامة عدم اهتمام عذبة.

«هذا حسن بالنسبة إليّ.»

«آه، وبالمناسبة هل لديك مانع في ان اقفل عليّ باب غرفتي الليلة؟»

فرد عليها بخشونة وهو يرمقها باتزان وبعينين فيهما لمحة من سخرية اغاظتها: «لا تقلقي، انني سأعمل تبعاً لوظيفتي وذلك بأن أقف حارساً على بابك طوال الليل، يا آنا...»

• • •

ارتفع التصفيق حاداً اشبه بسقوط شلالات المياه، فتصاعدت معه في الصالة الأنغام الموسيقية. كان المتفرجون يطلبون رفع الستار للمرة الرابعة، وبرزت آنا ممسكة بأيدي زملائها الممثلين حيث اخذوا يبالغون في الانحناء شاكرين، انها لم تكن فاشلة تماماً، إذن وهي تقوم بدور الممثلة الأولى...

لقد ألقت بنفسها هذه الليلة في الدور الذي كانت تتوق إليه، ولم تكن بحاجة إلى ردة فعل المتفرجين هذه لكي تعلم بأن المسرحية كانت ناجحة، وأن حديثها الأخير الرنان كان ناجحاً، ومهما كان السبب في هذا التجاوب المبتهج، فقد كان رائعاً، كما رأت آنا، وهي تقوم بانحناءة أخرى، لترفع بعدها وجهها بابتسامة مشرقة لهذا البحر من الوجوه المتماوجة والأيدي الملوحة وشعرها الطويل الكثيف يتسدل كالشلال على ظهرها وكتفيها وفتحة العنق المنخفضة لثوبها التافتا الكهرماني اللون، ووخزها شعور بالذنب وهي تفكر في لانا، الممثلة الأولى والمستلقية حالياً على سرير الآلام في المستشفى، حيث تعاني من تحطم اضلاعها الذي افقدها بهجة هذه الليلة... ولكن لانا محظوظة حقاً بهذا الدور...

ولكن أين هو جايد؟ اخذت تحاول ان تراه في الصفوف الأمامية، عندما اخبرها بانه سيأتي هذه الليلة ليحضر تمثيلها، اختلطت في نفسها المشاعر ما بين الخشية، والحماقة والبهجة العنيدة...

اندفعت لتغير ملابسها، وهي تجيب بتواضع على كلمات التهاني والمديح من الممثلين والمتفرجين، لا يهمها سوى حاجتها إلى رؤية جايد، وبخت نفسها بعنف وهي تتجه نحو باب المسرح مرتدية قبعة وسترة من المخمل استعداداً للخروج.

لم يكن داخل باب المسرح، كما انه لم يكن ينتظرها خارجه، كما أدركت من تفرسهافي أولئك الذين التفوا حولها وبأيديهم دفاتر الأوتوغراف لأخذ توقيعها. وإذ شعرت

بالغيظ من نفسها لرغبتها العنيدة في ان تشركه في هذا الفوز، تركت خبراً مع موظفة الاستقبال الليلية بأنها في المقهى إذا كان يريد رؤيتها، وبعد ذلك اتخذت طريقها خلال ظلال ليلة تشرين الباردة تلك.

كانت قد هبطت عاصفة مصحوبة بأمطار وسيول، وذلك في الليلة الماضية، وكان نهر آفون قد ارتفع منسوبه بحيث اخذت مياهه تتدفق على ضفيته في بعض الأماكن، كما لاحظت وهي تحدّق في سواده الفاحم تحت اشجار الصفصاف وذلك اثناء سيرها بسرعة نحو المقهى والذي كان لا يبعد اكثر من مائتي ياردة تقريباً من المسرح، كانت الريح القارسة قد هبّت، فلفت جسمها بسترتها، واحكمت من لف وشاحها الأسود حول عنقها وهي تتساءل عما تراه حدث لذلك الصيف الحار؟ يبدو ان الجو قد انتقل فجأة من الصيف إلى الشتاء، هذه السنة...

كانت آنا تشعر بالأمان التام، وهي تقطع هذه المسافة القصيرة نحو المقهى، لم تكن أضواء الشارع منارة تماماً ولكنها هي لم تكن وحيدة تماماً، فقد كانت هناك مجموعات من المارة تسير على الرصيف في نفس اتجاهها هي، ومعظمهم من الجمهور الذي كان يتفرج على المسرحية التي كانت تقدم على مسرح سوان، والتي كانت انتهت قبل برنامج المسرح الرئيسي.

انتبهت إلى رجل كان يسير خلفها، وذلك في نفس الوقت الذي شعرت فيه بذراع تلتف حول كتفيها، وإذ تملكتها الدهشة، التفتت وقلبها يخفق متوقعة أن ترى جايد ولكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تنظر في عيني رجل ضخم الجسم

في الثلاثينات من عمره، ذي وجه شاحب وشعر اشقر، وعينين زرقاوين واسعتين محملقتين.

كانت تتساءل عما إذا كانت رأته من قبل، وعما إذا كانت تعرفه، عندما وضع يده فوق فمها حين حاولت الكلام، وهو يقول: «هل ظننت نفسك آمنة؟»

لم تنبه صرختها المختنقة أياً من السائرين مثلها باتجاه المقهى، وإذ اخذ يدفعها ذلك الرجل بقوته، وجدت نفسها تعبر الطريق بما يشبه القفز وذلك بين السيارات المتوقفة، ومن خلال فجوة في الجدار تنفذ إلى الحدائق التي تحيط بالنهر. ولاحت امامها مياه النهر السوداء المتدفقة.

تدافعت في ذهنها مشاعر الذعر والغضب والرعب، وإذ اخذت تقاوم في التقدم في طريقها إنشاً بإنش، شعرت بشي صلب يخزها في ظهرها، فتقلص جسدها بخوف جديد.

قال لها المهاجم: «ان في يدي سكيناً، فكفي عن الرفس والخمش، يا وقحة...»

وإذ أزاح يده لفترة قصيرة، استجمعت كل شجاعتها وصرخت: «جايد...» ثم انحنت والتوت، وبشكل ما استطاعت ان تحرر نفسها، وعندما أخذت تركض طارت قبعتها عن رأسها، ولكن اللهفة إلى النجاة شحنتها بقوة للركض. كان ظلام الليل يحيط بها من كل جانب ما ضاعف من رعبها الذي ازداد وهي ترى ذلك الرجل يلحق بها وقد ثار غضبه.

«جايد...» صرخت باسمه للرياح، رياح الليل في الوقت الذي اندفع فيه الرجل ليقبض على ذراعها بقوة، ولكنها تملصت منه مرة أخرى وانطلقت تركض إلى الأمام، وهي

تنظر في كل لحظة، من فوق كتفها بذعر، دون ان ترى إلى أين كانت تركض، إلى ان شعرت فجأة بأن الأرض قد اصبحت مياهاً.

واطلقت صرخة رعب ممدودة وهي تشعر بنفسها تسقط، رافعة يديها بعنف تتمسك بالهواء إلى أن أمسكت، للحظة قصيرة ببعض اغصان شجرة صفصاف هشة سرعان ما تكسرت بين اصابعها وسرعان ما كانت تسقط ورأسها إلى أسفل في مياه النهر الثلجية المظلمة...

www.liilas.com

الفصل التاسع

طافت آنا على سطح المياه حيث أخذت تقيأ المياه التي دخلت جوفها، ثم حاولت ان تصرخ ثم غاصت مرة أخرى، كان النهر يتدفق بقوة مدهشة، فكانت السباحة بعكس التيار صعبة إذ كان يعيقها الحذاء الطويل الذي تلبسه، والسترة المخملية، وكان البرد قارساً وكأنه يحتوي على ثلج.

بعد ثوان فقط من سقوطها في الماء سمعت صوت ارتطام في الماء وكأن مطاردها قد ألقى بنفسه خلفها، فأخذت ترفس بساقيها بعنف، شاعرة بشيء يمسك بكاحلها ربما كانت اعشاب النهر فذعرت وغاصت في الماء مرة أخرى، وهي تفكر بشكل متفكك بما إذا كانت حياة المرء تتوهج عندما يكون على وشك الغرق... ثم صعدت إلى سطح المياه تعب الهواء إلى رئتيها بشهقات عالية مؤلمة. انها لا تريد ان تموت الآن بينما الحياة ما تزال امامها طويلة حافلة...

وعندما أمسكت بها ذراعان قويتان من الخلف، ورفعتها إلى ما شعرت بأنه جسم رجل، صرخت وهي تقاوم بذعر: «كلا، دعني ايها الوغد... النجدة...»

«كفى مقاومة يا آنا، فهذا أنا...»

كان هذا صوت جايد، خشناً يجاهد في سبيل التنفس، ولكنه ما يزال مسيطراً على نفسه.

كانت ذراعا جايد حولها تقودانها نحو ضفة النهر حيث كان جمع من المارة القادمين من المسرح، قد تجمعوا متفرجين على هذه المسرحية الحقيقية التي تمثل امام اعينهم الفزعة.

فشهقت تقول وهي تمسك به: «آه يا جايد، لقد ظننتك ذلك الرجل السمين... انه يعرف اسمي وقد حاول ان يختطفني...»

«أريحي نفسك من الكلام إلى ما بعد خروجنا من هذا النهر.»

قال لها ذلك وهو يدفعها بقوة نحو مجموعة من الأغصان المتبلية، ثم يمسك بأكثرها انخفاضاً.

كانت المياه تلتف حولهما كدوامة والتيار يمسك بملابسها، وبمبادرة شجاعة كبرى، ركض احد تلك المجموعة من الناس التي كانت تتفرج عليهما من ضفة النهر، ثم احضر زورقاً من مربط الزوارق، وبيطء خلال الوحل والنباتات، سحبوهما من النهر إلى حيث وجدت آنا نفسها ملقاة على الأعشاب القاتمة، كومة مبتلة لاهثة تسعل وتبصق بينما لفها شخص ما بمعطف...

نظرت إلى أعلى وقد تملكها الدوار والتشوش كان ثمة سيارة شرطة تلتمع انوارها الزرقاء على نحو خطير. وفجأة إذا بالناس تتجمع في كل مكان، ولكن يبدو ان جايد قد تركها.

لكنها ما لبثت ان رأته، وكان مايزال في بنطلونه الجينز، لكنه كان حافياً ودون قميص، ويظهر انه كان منيعاً ضد البرد، وجالساً القرفصاء بجانب جسد هامد

ملقى على الحشائش، وهو يتكلم ويشير بإلفة إلى اثنين من رجال الشرطة كانا قد وصلا واخذا ينظران بارتياب مؤدب إلى الجسد الهامد عند اقدامهم، لم تستطع ان تفهم الحديث، ولكن جايد ما لبث ان نهض واقفاً، ثم أدار ظهره للشرطيين وتقدم نحوها ليساعدها على الوقوف.

سألته من بين اسنانها المصطكّة: «لمن هذه الجثة؟»

«إنه الرجل الذي حاول اختطافك، وهو ليس ميتاً، ولكنه فاقد الوعي فقط، وهذا كل شيء.»

«ماذا حدث له؟»

«لقد اختلفنا، انا وهو، في الرأي.» كان الهزل بادياً على ملامحه، ولكنها وجدت نفسها تتصور ذلك القتال المختصر الذي دار بينهما، شاعرة بالإرتياح إذ لم تره. حتى ولو لم تشعر بالشفقة على مهاجمها ذاك، ولكن مجرد التفكير في انه كان قد أخطأ في تقدير قوة جايد المدمرة أرسلت الرعشة في جسدها...

وتابع جايد يقول باقتضاب: «انه الشخص الذي كنت اخبرتك عنه، انه اميركي، واسمه ديزموند كارتر...»

«العالم المخبول؟»

«نعم، يا آنا، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد...» وكان قد وجد سترته الشاموا فلفها حولها أيضاً، متجاهلاً احتجاجها المرتجف بانه اكثر حاجة اليها منها، وكانت عيناه داكنتان لشدة الاهتمام، ثم قال بمزيد من الرقة: «هل انت بخير؟»

«باحسن حال، حيث سبحت بكامل ملابسي في نهر

يفيض، وهي طريقتي المفضلة للتنزه.» ضحكت بصوت مرتجف، ولكنها تشبثت به وهي ترتعش بعنف.

فهمس يقول: «إياك ان تسببي لي مثل هذه المعاناة مرة أخرى.» وكان صوته مزيجاً من الغضب والمشاعر وهو يقول ذلك.

فقالت بجهد وهي ترفع رأسها تنظر اليه بحب وحنان: «ما كان لك ان تغطس في النهر لكي تنقذني. ولكن شكراً لك على كل حال.»

«آنا...»

«وإذا جرؤت على القول ان كل ذلك ليس سوى جزء من عملك، سأعود فاقفز...»

«تباً لذلك، لقد ظننتك ستغرقين.»

فقالت وهي ترتجف: «وبهذا لن تنال أجرك. وسيكون كل ما عملته لأجلي دون فائدة...»

سعل الشرطي خلفهما وهو ينبههما بذلك إلى ان الذي حاول خطفها وكان منبطحاً على الحشائش، لم يعد موجوداً...

• • •

«لماذا تركت باب المسرح من دوني؟»

كان جايد يتصرف بصراحة رجال الشرطة في ملاحقته للوقائع، كما اخذت تفكر فيما بعد، فقد اصرّ بهدوئه المعتاد، على عدم ضرورة ذهابها إلى المستشفى، مفضلاً على ذلك العودة إلى الفندق لتغيير ملابسهما والإستحمام بماء ساخن، وبعد ذلك يدليان لرجال الشرطة بما حدث لهما.

كان الجناح الذي اعطي لهما في الفندق مختلفاً عن سابقه، ولكنه يماثله في الرفاهية، كانت الساعة تقارب الثالثة صباحاً، ولكن نيران الحطب كانت تتوهج في المدفأة، وكانا قد اتصلا بالمستشفى الخاص بقرب المنزل فارتينغلي للسؤال عن حالة أبيها وعما إذا كان بخير. وغداً سيذهبان إليه ليخبراه بما حدث شخصياً. وجعله يعلم ان التهديد بالإختطاف لم يعد موجوداً وأن المذنب قد قبض عليه...

فارتجفت بشكل لا إرادي، كانت تحتسي فنجاناً من القهوة كان جايد طلبه لها، شاعرة بالسائل الحار يسري في داخلها فينعشها. ولكنها كانت ماتزال ترتجف كلما فكرت في ذلك الهجوم المرعب، والهلع البالغ الذي تملكها وهي تسقط في النهر...

«لماذا فعلت ذلك يا آنا؟»

«لأنني لم اجدك هناك.»

لماذا خرجت وحدها؟ هل للكبرياء التي تملكتها بعد ان قامت بدور البطولة في المسرحية؟ أم بسبب التحدي ورغبتها في إظهار استقلالها وانها لم تعد تخاف شيئاً؟

«لقد كنت قلت لك ان تنتظريني.»

«لقد فعلت، ولكنك لم تأت.»

«لقد اعاقني زحام الجموع الخارجة من المسرح.»

قال جايد ذلك بوجه جامد وهو يكظم التهكم الذي بدا في عينيه لتحديها العنيد هذا له، وتابع يقول: «كان امامي مجموعة من السيدات العجائز يسرن متكآت على العصي،

كما ان مجموعة من السائحين اليابانيين قد اعاقتني عن الإسراع.»

«كان بإمكانك سلوك الطريق القائم خلف خشبة المسرح...»

«وأدع (الآنسة اناستازيا فرينتش) نجمة المسرحية تستاء مني؟»

فخفضت بصرها لا تريد ان تقر بأنها كانت توسلت اليه بأن لا يسلك الطريق القائم خلف خشبة المسرح فيثير المزيد من هزء زملائها وإغاظتهم لها...

ثم اضاف يقول: «لو انك كنت فعلت ما طلبته منك، لما كان حدث أي مشكلة.» كان يرتدي البنطلون الأسود والقميص الأبيض الناصع اللذين كان يرتديهما اثناء مواجهتهما الشرطة. كما ارتدت هي اكثر ملابسها دفئاً وذلك بعد استحمامها ما جعلها الآن تشعر بالحرارة في قميصها القطني التوتي اللون وكنزتها السميكة ذات اللون نفسه. وكانت قد ضفرت شعرها الطويل بعد ان غسلته من مياه النهر، وعندما ألقت نظرة على نفسها في مرآة منضدة الزينة، رأت وقد تملكها الذعر، انها تبدو في حوالي السادسة عشرة...

قالت له بلطف: «هل ستكفّ عن إلقاء محاضراتك عليّ وكأنك استاذ مدرسة متغطرس؟ انني آسفة لأنني غادرت المسرح بمفردي، كنت مخطئة، غبية، مدللة، وكل ما تنعتني به صحيح. انك انقذت حياتي، وانا مستعدة للاعتذار مجدداً في أي حال. فقد كنت بطل الساعة، فارسي القادم على حصان أبيض لإنقاذي تماماً كما اعتدت أن احلم بك...»

وتهدج صوتها أثناء هذا التهكم المر، فسكتت وكان جايد قد وضع من يده فنجانه، ثم مال إلى الأمام عاقداً ساعديه على ركبتيه، وهو يقول باختصار: «انك على الأقل بعد ان عرفتني اكثر، يمكنك ان تنسي احلامك عني.»

فقالت موافقة وهي ترغم نفسها على التكلم بمرح: «آه، نعم، يمكنني ذلك بكل تاكيد، والآن اخبرني، هل كل ذلك الكلام الذي قلته للشرطة عن ديزموند... كان صحيحاً؟»

لوى شفتيه وهو يجيب: «وهل ظننت انني اكذب على الشرطة؟»

«لا اظن ذلك، كل ما في الأمر هو انني وجدت من الصعب تصديق ان شخصاً لا اعرفه، ولم اقابله قط من قبل، أراد ان يهددني بذلك الشكل...»

كيف يمكن ان تقول بأن تلك المعلومات قد هزتها وجعلتها ترتجف بشكل أحمق، دون ان تظهر نفسها تلك الطفلة الممثلة الميئوس منها، كما كان جايد ينعتها على الدوام؟

«لقد كان يريد ان يحطم والدك، وذلك منذ أربع سنوات حين اخذ يرسل تهديده بالموت. لقد اقتفيت آثاره حتى جعلتهم يضعونه في مصحة نفسية في اميركا، وهذه المرة لم يلم أباك فقط لسرقته أسراره العلمية كما يقول، وإنما أيضاً لأنه سجنه في تلك المصحة. كان يريد الانتقام من والدك بتهديده بإيذائك.»

كان صوته العميق، وهو يقول ذلك، قد أصبح اكثر رقة.

«ولكن أبي طبعاً، لم يسرق أياً من افكار هذا العالم العلمية.»

«كلا. انه لم يفعل ذلك، لقد كان ديزموند كارتر مصاباً بجنون العظمة الناتج عن انقسام في الشخصية، كما كان يعاني من عقدة الإضطهاد، وهذه المرة سيوضع في المصح لمدة اطول. فهو لن يعود لإزعاجك أو إزعاج أبيك، وأنا أراهن بسمعتي المهنية على ذلك.»

كانت تلك القناعة الهادئة في صوت جايد هي كل ما كانت بحاجة إليه لتطمئن، فتنهدت وهي تثني ساقيها تحتها، كانت نظراته الثابتة المتزنة تشعرها بالذنب، فقد كانت تعليماته المحددة بأن تنتظره هذه الليلة، داخل باب المسرح، من السهل اتباعها، ولكنها بعنادها كادت تغرق وإياه، كما كان من الممكن ان تنال طعنة سكين هذه الليلة بسبب رغبتها المتعمدة في الهزء بسلطته...

«أمازلت تفكر في انني طفلة مدللة؟»

أخذ جايد يمعن النظر فيها. وشعرت بوجهها يتوهج احمراراً تحت نظراته الهادئة الفاحصة.

ثم قال: «بعد الطريقة التي خرجت بها من المسرح وحدك هذه الليلة، ماذا تظنين رأيي بك؟»

فساد صمت طويل متوتر، وشعرت آنا بغصة غضب تسد حلقها.

أخيراً قالت توافقه بصوت ضعيف: «حسناً، هكذا إذن، وانت قد انهيت مهمتك، أليس كذلك؟ قدمت المجرم إلى العدالة؟ أنقذت زبونتك من نتائج اعمالها الحمقاء؟ أرسل إذن قائمة نفقاتك إلى أبي ثم ابحث لنفسك عن مهمة أخرى لكي تبقي على نشاطك وعلى حسابك المصرفي...»

وقف جايد، وقد ضاقت عيناه بشكل عنيف وهو ينظر إليها، ثم يقول: «ليس الأمر بهذه السهولة.»

«لماذا؟»

واخذ قلبها يخفق بالم وهي تلحظ النبرة الخشنة في صوته.

«لأن معرفتي بك قد بعثت الإضطراب إلى نشاطاتي بأجمعها...»

فردت عليه بعنف: «هذا صحيح، اجعلني مسؤولة عن كل شيء.» ثم سكتت بغتة ونظرت اليه عابسة مشتتة الذهن. «ماذا قلت؟ ما الذي تتحدث عنه؟»

«انني اتحدث عن معرفتي بك، منذ أربع سنوات.» قال ذلك وهو يتخلل شعره بأصابعه وقد بدا عليه الإجهاد، بينما يتابع قائلاً: «وكيف أثرت على حياتي...»

حملقت فيه منحبسة الانفاس غير مصدقة وقد تملكها الغضب.

«أتريد ان تخبرني بأن طباعك السيئة نحوي وكذلك قسوتك، أثناء تلك العطلة الأسبوعية منذ اربع سنوات، قد أثرت على حياتك بشكل ما؟»

«لم اضع كلامي بهذا الشكل بالضبط.» وبدت في صوته لمحة من الهزل. كانت عيناه قاتمتين تنضحان بالمشاعر التي لم تستطع قراءتها، ولكنها كانت تتفاعل، كما يبدو مع مشاعرها وكان هو يتابع قائلاً: «بصفتي كنت وحيداً، كنت مشغولاً بإثبات ذاتي بارتباطي بالمهمات الخطرة، ولكنني عندما تركت منزلكم تلك العطلة الأسبوعية منذ أربع سنوات، شعرت بأن ميولي نحو الأمور قد تغيرت بشكل ما...»

«وكيف كان ذلك التغيير؟»

«لقد هدأت من نفسي... أصبحت أقل... هوساً بالعمل، انشأت لنفسي شركة، اعتمدت على الموظفين عندي في الأمور التي تستوجب المخاطرة، اخذت احلم بحياة اكثر هدوءاً، لم اعد اعمل حارساً شخصياً.»

فنظرت إليه غير مصدقة: «ولكن ماذا بالنسبة إليّ؟»

إستقرت عيناه على وجهها المتوهج، فترة ثم هبطتا تجولان بين تقاطيع جسمها لتعودا فتشتبكان بنظراتها غير المصدقة.

«كنت الوحيدة في ذلك.»

«هل هو جميل صنعته لأجل أبي؟» همست بذلك بصوت مرتجف، كان في ما لمسته من مشاعر هادئة في جايد ما دمر هدوءها الذهني. والحنين الذي يعتمل في داخلها كان قد اصبح جوعاً مؤلماً، ولكنها كانت خائفة من إظهاره، خائفة من الاعتراف به...

اجابها: «كلا، وإنما لم أشأ المغامرة بتركك لحماية شخص غيري.»

«لا افهم ما تقول.»

فقال يفسر لها الأمر بلهجة من يخاطب طفلاً: «إذا كنت انت في خطر ما، فهو أنا الذي سيحميك، يا آنا لأن المرء إذا كان يحب شخصاً ما فهو يريد ان يحميه بنفسه.»

سألته باستغراب: «إذا كان يحب شخصاً ما...؟» وتوهج وجهها: «جايد إذا كان لديك ما تقوله، فلماذا لا تقوله مباشرة؟ بدلاً من ان... ان تدور حول الأمر بهذا الشكل مثل...

محام قديم متعفن، متهرباً من الصراحة بهذه الثرثرة المبطنة لما تريد قوله...»

ولكن هذا الانفجار به سرعان ما تلاشى وهي تراه يطلق قهقهة عالية، وهو ينحني ليحدّق في عينيها البنيتين العاصفتين: «حسناً، انا احبك، هل هذا أحسن؟»

لم تستطع ان تتنفس، واخذت تجاهد في سبيل ذلك في هذه الغرفة التي بدا وكأنها خلت من الأوكسجين، ثم قالت بصوت أبح: «أحسن كثيراً.»

«آنا... لو لم اتمكن من اخراجك من النهر، لأغرقت نفسي معك...»

«جايد...»

لقد دار رأسها لما تسمع، وامتلأ قلبها بهجة عارمة.

«... عزيزي جايد...»

فتأوه قائلاً: «لا بد انني استعذب بتعذيب نفسي، كيف تصورت ان بإمكاني ان ابتعد عنك بعد تلك الليلة على الشاطئ؟»

«ظننتك ندمت على مصارحتي بعواطفك تلك، أو ربما صدر مني خطأ ما...»

«كلا، لم يصدر عنك أي خطأ، يا آنا...» وكان ثمة ألم في صوته، مزيجاً بالهزل.

فهمست تغيظه: «أهذا إذن، فقط لأنك اخلفت بوعودك الحمقاء لمهنتك؟»

«تماماً...»

«اظنك تلومني لهذا؟ إذ اغويتك على الاخلاف بتعهداتك لمهنتك؟»

«كلا...»

«كلا؟»

«وكيف بإمكاني ان ألومك على أي شيء؟ وهل استحق انجذابك لي مرتين؟ يا آنا حبيبتي.»

«انك لم تكن تستحق أياً من تلك الفرصتين.»

وخففت من قسوة كلماتها هذه بابتسامة. «فقد كنت فظاً مريعاً تحوي منذ أربع سنوات ولكن لا يبدو ان هذا غير من الأمر شيئاً، انني أكره ان اشجع غرورك، ولكنك أول رجل... والرجل الوحيد... الذي جعلني اشعر...»

فقاطعها: «بالحب؟»

فقالت وهي تضحك: «بالضبط.»

فقال يسألها، وهو يتفحص وجهها المتوهج، بصوت يحوي درجة من العجب وعدم التصديق: «منذ متى؟ ألم يجذبك شخص آخر؟ ولو قليلاً؟»

اجابته بابتسامة مشرقة: «ليس إلى درجة كافية، فأنا لم استطع ان انساك. وكذلك... حسناً، رفضك لي بذلك الشكل قد عقدّني تماماً...»

أغمض جايد عينيه بندم صامت، وسألها: «آنا، حبيبتي هل يمكن ان تصفحي عني؟»

«يمكنني ذلك الآن...»

«لقد احببتك منذ رأيتك لأول مرة في حديقة منزلكم فارتينغلي، ومنذ ذلك الحين، حطمت كل ما كنت فرضته على نفسي من تعهدات، استحوذت عليّ.» وتنفس بعنف. «انك المرأة الوحيدة التي سمحت لها بأن تستفزني، كل علاقاتي كانت حسب شروطي أنا، فقد كنت مسيطراً على

نفسي، إلى ان عرفتك، فشعرت بانني أريدك اكثر من أي شيء أردته في حياتي، ولكنني لم أشأ ان أدع رغبتي تسيطر على اهتمامي بحماية أبيك، كما انه ما كان ينبغي لي ان أدعها تسوّد صفحتي معك، هذه المرة، ولكنني لم استطع كبح نفسي...»

«آه، يا جايد... يا حبيبي جايد...»

كان السرور يتملكها من رأسها حتى أخمص قدميها.

قال لها بصوت أجش: «كان لديك كل الطاقات وهذا ما اخافني منك، منذ البداية، وذلك كان السبب في انني لم ابحث عنك عندما انتهت مهمتي مع أبيك، لم استطع المخاطرة لم استطع قبول فكرة البحث عنك وإنشاء علاقة معك، فاكتشف انك تفوقينني تحكماً في عواطفك... هل كلامي مفهوم؟»

فقالت مفكرة وهي تشعر بنفسها كالمخدرة من فيض السعادة: «اظن ذلك، كنت تريد... تريد أن تبقى وحدك... ان تحمي نفسك من... من ان تحب احداً حباً بالغاً وذلك لكي تحمي نفسك من الألم الذي شعرت به عندما فقدت والدتك...»

«ربما... كل ما اعرفه هو انني افقد سيطرتي على نفسي عندما اكون معك، يا آنا، وهذا يخيفني إلى حد بالغ...»

فهمست: «لماذا؟ لماذا يخيفك هذا؟»

«لأن شخصاً آخر هو الذي يملك الطاقة...» قال ذلك برقة بالغة، «أعني الطاقة على التسبب بالألم...»

أجابت بحنان: «لا يمكنك ان تحب دون ان تخاطر بالتعرض للألم...»

«اعلم، اعلم، وأنا احبك يا آنا... يا حبيبتي...»

«وانا أيضاً احبك... ولن اسبب لك ألماً ابداً... يا جايد...»

«إذن فأنت ستتزوجينني.» وكان كلامه أمراً وليس طلباً.

فقالت تطمئنه وهي ترتجف، وعيناها تتألقان: «سأتزوجك، فأنا أريدك، وانا بحاجة اليك. انني سأترك كل شيء لأجلك.»

«كلا.» واظلمت عيناه وهو يرى مشاعرها العنيفة. «كلا، ليس هذا، لقد رأيتك تتألقين على خشبة المسرح هذه الليلة، يا آنا، فلا تهجري التمثيل ابداً. ليس لأجلي، ولا لأجل أي شخص آخر...»

تضخم الحب في نفسها حتى كادت تنفجر.

«وماذا عندما يأتي الأولاد؟»

ضاقت عيناه وبدا فيهما الهزل: «هل تريدين ان تقولي انك مستعدة للإنجاب منذ الشهر الأول؟»

عضت شفتها وقد احمر وجهها: «هذا شيء غير مضمون، يا حبيبي...»

«أعلم ذلك، ولكن هذا ممكن، أليس كذلك؟ ولكن اطمئني يا حبيبتي، فانا لست مستعجلاً ولكن احتمال انني ساكون مسؤولاً عن أسرة، وانك انت زوجتي، هو افضل احتمال حدث لي منذ وقت طويل، طويل...»

فقالت: «ان زواجنا لن يسبب أي مشكلة بالنسبة إلى عملي، ذلك ان العقد بيني وبين الفرقة سينتهي بعد ثلاثة اشهر.»

احمر وجهها وقد رأته ينظر في عينيها، وتابعت تقول: «كل ما في الأمر انني أحاول أن اكون عملية...»

«ما اجملك عندما تحاولين ان تكوني عملية.»

كانت بقية المدينة نائمة اثناء ساعات الصباح الباكرة، وتدفق النهر الخطر بصمت خلال الليلة تحت نافذتها في الفندق، ولكنها كانت آمنة في ظلال نيران المدفأة في غرفتها... تنهدت بسعادة وهي تفكر في انها ستحب جايد ستيل، مكرسة له، من كل قلبها، كل دقيقة من حياتها.

تمت

www.liilas.com toto-06

الليالي الخطرة

روزالي آش

منذ اربع سنوات كانت انا ستُسر للغاية لو كانت سمعت هذه الكلمات من بين شفتي جايد ستيل، ولكنه في ذلك الحين جرحها واذلها حتى انها اقسمت على ان لا تصفح عنه ابداً. ولكن الحظ كان لديه افكارا أخرى لأن انا وجدت نفسها فيما بعد، تشارك جايد احلاماً استوائية، والآن عليها أن تجاهد لكي تنجو من تلك الأيام الخطرة، والليالي الأكثر خطورة...!

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١,٥ دينار - المغرب دراهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس ٢ دينار